

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾
(صدق الله العظيم)

كَارِ السَّبِيلِ
الْحَقِّ إِلَى اللَّهِ

التَّحْذِيرُ مِنَ الْمُجَازَفَةِ بِالتَّكْفِيرِ

تَأْلِيفُ

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَوِيِّ الْمَالِكِيِّ الْحَسَنِيِّ

عَرَضَ وَتَقَدَّمَ الدُّكْتُورُ :

مُحَمَّدُ مَتَوَلَّى مَنصُور - جَامِعَةُ الْأَزْهَرِ

مَكْتَبَةُ الْأَدِيبِ : كَامِلُ كِلَانِي

٢٨ شارع البستان باب اللوق

ت : ٠٢/٢٣٩٦١٤٥٩

عضو اتحاد الناشرين برقم ٥٣٥

قُلْ مَذْهَبِي سَبِيلُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ
عَلَى بَيِّنَةٍ أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي ﴿١﴾
(صدق الله العظيم)

كَارِهُنَّ
الْبَغْيَ وَالْإِثْمَ
الَّذِي فِيهِ

التَّحْذِيرُ مِنَ الْمُجَازَفَةِ بِالتَّكْفِيرِ

تأليف

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَوِيِّ الْمَالِكِيِّ الْحَسَنِيُّ

عَرْضٌ وَتَقْدِيمٌ لِلْمُتَحَنِّنِ :

مُحَمَّدُ مَتَوَلَّى مَنُصُّور - جَامِعَةُ الْأَزْهَرِ

مَكْتَبَةُ الْأَدِيبِ : كَامِلُ كِلَانِي

٢٨ ش البستان - باب اللوق

ت : ١٢ / ٢٣٩٦١٤٥٩

عضو اتحاد الناشرين برقم ٥٣٥

رقم الإيداع
بدار الكتب المصرية
٢٠٠٦ / ٧٥٨٣

مَطْبَعَةُ الْكِيلَانِي
٢٢ ش الأديب كامل كيلاني - باب الخلق
ت : ٢٣٩١٨٥٩٨ - ٢٣٩٥١٥٤٣ / ٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ وَكَفَى بِهَا نِعْمَةً،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدٍ وَلَدِ عَدْنَانَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
- صَلَّى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ -

الَّذِي أَرْسَلَهُ رَبُّهُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ،

لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ.

اللَّهُمَّ: صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ،

وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ،

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ حَقٌّ قَدْرُهُ وَمِقْدَارُهُ الْعَظِيمِ.

وَبَعْدُ ... فَتَحْنُ نَعِيشُ فِي عَصْرِ كَثُرَتْ فِيهِ الْفِتَنُ،

وَعَمَّتِ الْبَلَوَى ...

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ وَالْإِيمَانَ قَرِينَانِ،

لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، يَقُولُ - مُبْنَحَانُهُ - :

﴿الْم ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا

وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [الْجُنُكُبُوتِ].

وَيَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ : « ... أَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ »
يَتَّبَعُ آخِرُهَا أَوَّلُهَا .. الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى .

وَيَغْضُ الْفِتْنُ قَدْ يَكُونُ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضِ ،
لَكِنَّ الْفِتْنَةَ الْكُبْرَى ، وَالطَّامَّةَ الْعُظْمَى هِيَ : (فِتْنَةُ الطُّغْنِ فِي
الْعُلَمَاءِ ، وَتَوَزُّعِ انْتِسَابِ شِيَابِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ إِلَى فِرَقِ
وَشَيْعِ وَأَحْزَابٍ ، وَتَبَادُلِ الْإِتِّهَامَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ،
وَرَمِيهِمُ الْعُلَمَاءُ ، وَكُلُّ مَنِّ خَالَفِيهِمْ فِي فِكْرِهِمْ
- إِنْ كَانَ لَهُمْ فِكْرٌ - ، وَفِي مَنَهِجِهِمْ

- إِنْ كَانَ لَهُمْ مَنَهِجٌ - بِالْفِسْقِ وَالْإِبْتِدَاعِ وَالْكَفْرِ ..
وَهَذَا كُتْلَةٌ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ فَهْمِهِمْ لِحَقِيقَةِ هَذَا الدِّينِ ،
وَعَدَمِ بَصَرِهِمْ بِوَاقِعِهِ وَأَسَاسِهِ الْمَتِينِ ..

وَإِذَا كُنَّا نَعْلَمُ - مِنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ النَّاصِحِ - أَنَّ الْأَئِمَّةَ
الْمُجْتَهِدِينَ ، وَالْفُقَهَاءَ الْمُبَرِّزِينَ ، كَانُوا يَخْتَلِفُونَ ؛
فِيهِمْ مَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ - أَبَدًا - فِي الْأُصُولِ ،
وَإِنَّمَا اخْتِلَافُهُمْ - دَائِمًا - كَانَتْ فِي الْفُرُوعِ ؛
وَمِنْ هُنَا كَانَ اخْتِلَافُهُمْ رَحْمَةً .

أَمَّا الْمُخْتَلِفُونَ مِنْ شَبَابِ الْأُمَّةِ الْآنَ،
فَإِنَّ اخْتِلَافَاتِهِمْ شِقَاءٌ وَنِقْمَةٌ؛ فَهُمْ شَبَابٌ يَدْعُونَ الْعِلْمَ،
لَكِنَّ الْعِلْمَ مِنْهُمْ بَرَاءٌ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُمْ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ نَاقِصًا،
فَقَدْ عَرَفُوا شَيْئًا، وَقَدْ غَابَتْ عَنْهُمْ أَشْيَاءٌ...!
وَلِمَّا أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُمْ جَامِدًا مُتَحَجِّرًا، لَا يَقْبَلُ رَأْيَ الْآخَرِ؛
بَلْ يَنْغَلِقُ عَلَى فِكْرِهِ هُوَ، وَرَأْيِهِ هُوَ...!
فَكَانَتْ نَظَرَتُهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ نَظَرَةً نَاقِصَةً، أَوْ نَظَرَةً جَامِدَةً؛
فَرَاخُوا يَكِيلُونَ النَّهْمَ جُزَافًا لِأَفْرَادِ الْأُمَّةِ،
بَلْ لِخَاصَّتِهَا وَلِعُلَمَائِهَا...!
وَتِلْكَ فِتْنَةٌ يَسْتَشْمِرُهَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ ضِدَّنَا؛ حَتَّى أَصْبَحَ
- نَتِيجَةً لِأَفْكَارِهِ هَؤُلَاءِ - الْإِسْلَامُ مَقْرُونًا بِالْإِزْهَابِ...!
وَعَدَا الْمُسْلِمُ - فِي نَظَرِ الْآخَرِينَ - مُجْرِمًا يَقْتُلُ الْآخَرِينَ،
وَيَسْفِكُ دِمَاءَهُمْ، وَيُخَرِّبُ دُورَهُمْ، وَيُدْمِرُ مُمْتَلَكَاتِهِمْ،
وَيُرَوِّعُ الْأَمِينِ، وَيَقْضِ مَضْجَعَ الْمُسْتَقَرِّينَ الْهَادِيْنَ...!
لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الَّتِي غَابَتْ عَنْ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ:
دِينُ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَالرَّحْمَةِ الْعَالِيَةِ...

وَكُلُّ مَنْ يَرْتَكِبُ جُرْمًا، أَوْ يُفَرِّعُ آمِنًا، أَوْ يُكْفِّرُ مُؤْمِنًا،
أَوْ يُفْسِقُهُ، أَوْ يُبَدِّعُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ عَنِ الْإِسْلَامِ
إِلَّا أَسْمَهُ، وَلَا يُحَقِّقُ مِنْهُ إِلَّا رَسْمَهُ !..

وَلَقَدْ جَدُّ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ فِي كَشْفِ زَيْفِ بَعْضِ الشُّبَابِ
الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ الْحِمَاقَاتِ بِأَسْمِ الْإِسْلَامِ،
وَالَّذِينَ يَغْتَبِرُونَ أَنْفُسَهُمُ الدَّائِدِينَ عَنْ حِيَاظِهِ،
الْمُدَافِعِينَ عَنْ جَنَابِهِ؛

فَأُطْلِقُوا لِأَسْنَتِهِمُ الْعَنَانَ،
يُوزَعُونَ التُّهَمَ عَلَى عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ،
فَيُكْفَرُونَ وَيُبَدِّعُونَ وَيُفْسِقُونَ ... أَقُولُ :
قَبِضَ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ رِجَالًا أَفْذَادًا، وَعُلَمَاءَ أَجَلَاءَ،
يُجَلُّونَ الْحَقِيقَةَ، وَيُوقِفُونَ هَوْلًا عِنْدَ حَدِّهِمْ،
وَيُبَيِّنُونَ لَهُمُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالصَّوَابَ مِنَ الْخَطِإِ ..
وَمِنْ بَيْنِهِمُ الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ

الْشَّيْخُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَوِيٍّ الْمَالِكِيُّ الْحَسَنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ،
الَّذِي عَاشَ حَيَاتَهُ مُدَافِعًا عَنْ هَذَا الدِّينِ،
رَادًّا عَلَى شُبُهَاتِ الْمُبْطِلِينَ، وَافْتِرَاءَاتِ الْمُكَذِّبِينَ .

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ أَهْتِمَامَاتِهِ :

إِصْدَارُ سِلْسِلَةٍ إِيضَاحِ مَفَاهِيمِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ ..
 وَمِنْ بَيْنِهَا : هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا ،
 وَالَّذِي سَمَّاهُ « التَّحْذِيرُ مِنَ الْمُجَارَفَةِ بِالتَّكْفِيرِ » ..
 وَهُوَ كِتَابٌ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ حَجْمِهِ ،
 إِلَّا أَنَّهُ يَخْوِي دُرَرًا مِنْ الْفَوَائِدِ ، وَغُرَرًا مِنْ الْقَصَائِدِ ،
 الَّتِي نَحْنُ فِي مَسِيرِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ
 الَّذِي تَلَاطَمَتْ فِيهِ الْأَمْوَاجُ ، وَاخْتَلَطَتْ فِيهِ الْأَوْرَاقُ ،
 وَأَضْبَحَ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ فِيهِ كَلًّا مُبَاحًا لِلْجَمِيعِ ؛
 فَهَذَا يَعْتَبَرُ الْإِسْلَامَ مَقْصُورًا عَلَى اللَّحْيَةِ وَالْثُوبِ الْقَصِيرِ ! ..
 وَذَاكَ يَعْتَبَرُ الْإِسْلَامَ مَقْصُورًا عَلَى مَبِيتٍ فِي الْمَسَاجِدِ ،
 وَصَوْمٍ وَصَلَاةٍ ، وَخُرُوجٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ! ..
 وَآخَرُ يَعْتَبَرُ الْإِسْلَامَ مَقْصُورًا عَلَى الْجِهَادِ بِمَفْهُومِهِ هُوَ ؛
 فَرَاخَ يَتَّخِذُ مِنَ الْإِزْهَابِ وَالتَّفْجِيرَاتِ وَالْإِجْرَامِ مَبْدَأًا لَهُ وَدَيْدَنًا ! ..
 وَآخَرُونَ يَعْتَبِرُونَ الْإِسْلَامَ مَقْصُورًا عَلَى خِلَقَاتٍ ذَكَرَ ،
 وَزِيَارَةِ لَوْلِيٍّ ، وَتَمَسُّحٍ بِالْقَبَابِ ،
 وَتَقْبِيلِ لِلْأَغْتَابِ ، وَسُؤَالِ لِلْمَوْتَى ! ..

وَهَذَا يَدَّعِي أَنَّهُ سَلَفِيٌّ ، وَذَاكَ يَدَّعِي أَنَّهُ صُورِيٌّ ! ..

هَذَا يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ أَنْصَارِ السُّنَّةِ ،

وَذَاكَ يَدَّعِي أَنَّهُ بِشْعَارٍ : « الْإِسْلَامُ هُوَ الْحَلُّ »

سَيَقْضِي عَلَى كُلِّ الْمَشْكَلَاتِ ،

وَأَنَّهُ الْوَحِيدُ الْجَدِيرُ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ ! ..

فِرْقٌ شَتَّى ، وَطَرَائِقُ قِدْدٌ ، وَشُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ،

وَجُهَلَاءُ يُعَانِدُونَ ! ..

وَالْإِسْلَامُ الْحَقِيقِيُّ خَائِرٌ يَتَسَاءَلُ :

أَيْنَ أَنَا مِنْ كُلِّ هَؤُلَاءِ ؟

وَالْإِجَابَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَالْحَقُّ الصُّرَاحُ :

أَنَّ كُلَّ هَؤُلَاءِ - وَأَشْبَاهَهُمْ -

إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى مَنْهَجِهِمْ هُمْ :

الْمَنْهَجِ الَّذِي يَخْدِمُ تَوَجُّهَاتِهِمْ ، وَيُحَقِّقُ لَهُمْ مَآرِبَهُمْ ،

وَيُلَبِّي لَهُمْ رَغَبَاتِهِمْ ، وَيُشْبِعُ مَطَامِعَهُمْ ،

لَكِنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ إِلَى مَنْهَجِ الْإِسْلَامِ ! ..



وَلَقَدْ رَكَّزَ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ،
وَأَجْزَلَ لَهُ الْمَثُوبَةُ، وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُ -
هُنَا عَلَى قَضِيَّةِ «التَّكْفِيرِ» الَّتِي انْتَشَرَتْ مِنْ قِبَلِ أَغْرَارِ جُهْلَاءِ،
اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا،
فَكُلُّ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي رَأْيٍ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي أَفْكَارِهِمْ،
يَعُدُّونَهُ إِمَّا مُبْتَدِعًا، وَإِمَّا فَاسِقًا، وَإِمَّا كَافِرًا!..
وَحُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ، وَأَدِلَّتُهُمْ وَاهِنَةٌ!..
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّكَ تَرَاهُمْ يَنْسُبُونَ أَقْوَالَهُمْ إِلَى أَيْمَةِ أَعْلَامِ،
لَهُمْ فِي الْعِلْمِ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ،
وَفِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ جُهُودٌ وَاضِحَةٌ!..
وَكَانَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَوْضُوعِيًّا،
فَذَكَرَ لَنَا فِي مُوَاجَهَةِ الْمُكْفُرِينَ وَالْمُفْسِقِينَ وَالْمُبْتَدِعِينَ
آرَاءَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَدْعِي هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِقَوْلِهِمْ،
وَيَصُدُّونَ فِي أَحْكَامِهِمْ عَنْ آرَائِهِمْ.
فَلَقَدْ ذَكَرَ مَوْقِفَ الْإِمَامَيْنِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَالشُّوكَانِيَّ
مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْخَطِيرَةِ، وَهُمَا يَشُوقَانِ فِي - ذَلِكَ -
مَا ثَبَتَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمَرْوِيَّةِ
مِنْ طَرِيقِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصُّحَابَةِ أَنَّ :

التَّحْذِيرُ مِنَ الْمُجَازَفَةِ بِالتَّكْفِيرِ

(مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ : « يَا كَافِرُ » ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا) .

هَكَذَا فِي الصَّحِيحِ ،

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا :

(مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالكُفْرِ ، أَوْ قَالَ : « عَدُوُّ اللَّهِ » ،

وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، إِلَّا صَارَ عَلَيْهِ) ؛ أَيْ : رَجَعَ .

وَفِي لَفْظٍ فِي الصَّحِيحِ : « فَقَدْ كَفَرَ أَحَدُهُمَا » .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ »

إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ

وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْرًا

فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ ١٠٩ ﴾ [النحل] .

وَكَذَلِكَ وَقَفَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

مِنْ قَضِيَّةِ التَّكْفِيرِ مَوْقِفًا عَظِيمًا

قَدْ يَسْتَنْكِرُهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ ،

مَحْسُوبٌ عَلَيْهِ ..

وَذَلِكَ فِي رَدِّهِ عَلَى رِسَالَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ سُهَيْمٍ ، حِينَ قَالَ :

« قَوْلُهُ : [أَيْ : سُلَيْمَانُ بْنُ سُهَيْمٍ] :

(إِنِّي مُبْطِلٌ كُتُبَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ ! ..

وَلِيَّنِي أَقُولُ : إِنَّ النَّاسَ مِنْ مِثْمَائَةِ سَنَةِ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ! ..

وَلِيَّنِي أَدْعِي الْإِجْتِهَادَ ! ..

وَلِيَّنِي خَارِجٌ عَنِ الثَّقَلِيدِ ! ..

وَلِيَّنِي أَقُولُ : إِنَّ اخْتِلَافَ الْعُلَمَاءِ نِقْمَةٌ ! ..

وَلِيَّنِي أَكْفُرُ مَنْ تَوَسَّلَ بِالصَّالِحِينَ ! ..

وَلِيَّنِي أَكْفُرُ الْبُوصِيرِيَّ ؛ لِقَوْلِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

« يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ ... » ! ..

وَلِيَّنِي أَقُولُ : لَوْ أَقْدِرُ عَلَى هَذِمِ قُبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهَدَمْتُهَا ..

وَلَوْ أَقْدِرُ عَلَى الْكَعْبَةِ لَأَخَذْتُ مِيزَابَهَا ،

وَجَعَلْتُ لَهَا مِيزَابًا مِنْ خَشَبٍ ..

وَلِيَّنِي أَحْرَمُ زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ! ..

وَلِيَّنِي أَنْكِرُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْوَالِدَيْنِ وَغَيْرِهِمَا ! ..

وَلِيَّنِي أَكْفُرُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ ! ..

وَلِيَّنِي أَكْفُرُ ابْنَ الْفَارِضِ وَابْنَ عَرَبِيٍّ ! ..

وَلِيَّنِي أُخْرِقُ « دَلَائِلَ الْخَيْرَاتِ » ، وَ « رَوْضَ الرِّيَاحِينَ » ،

وَأَسْمِيهِ « رَوْضَ الشَّيَاطِينِ » .

ثُمَّ يَقُولُ الشَّيْخُ - مُتَبَرِّئًا مِنْ كُلِّ هَذَا الَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ - :

« جَوَابِي عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ أَنْ أَقُولَ :

﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ①١٦ ﴾ [التَّوَكُّدُ] ،

وَيُؤَكِّدُ الشَّيْخُ بَرَاءَتَهُ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْإِدْعَاءَاتِ

فِي رِسَالَةٍ أَرْسَلَهَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

إِلَى السُّوَيْدِيِّ - عَالِمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ -

تَتَضَمَّنُ مِثْلَ هَذِهِ الْإِفْتِرَاءَاتِ الَّتِي سُقْنَاها قَبْلًا ..

فَمَا قَوْلُكُمْ - بَعْدَ هَذَا - يَا مَنْ تَدْعُونَ

أَنْكُمْ سَلَفِيُّونَ وَهَابِيُّونَ ؟

كَذَلِكَ أُوْرِدَ الشَّيْخُ الْمَالِكِيُّ بَيَانًا مُهِمًّا

عَلَى لِسَانِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ

الَّذِي كَانَ مُفْتِيًا لِلْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ،

وَالرَّئِيسَ الْعَامَّ لِإِدَارَةِ الْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ ،

الَّذِي شَنَّ فِيهِ حَمْلَةً شَعْوَاءَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُكْفُرِينَ ..

وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِتَحْذِيرِهِ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ

مِنَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّكْفِيرِ وَالتَّشْهِيرِ ، وَأُوْرِدَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ①١٧ ﴾ [التَّحْلُكُ] .

ثُمَّ دَلَفَ الشَّيْخُ الْمَالِكِيُّ - غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَهُ -
إِلَى حَدِيثِ فَضِيلَةَ الدُّكْتُورِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُمَيْدٍ
إِمَامٍ وَخَطِيبِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، الْمَعْرُوفِ بِعِلْمِهِ وَقُضْلِهِ
وَأَتْزَانِهِ وَإِتْقَانِهِ، الَّذِي كَتَبَ عَنْ «أَدَبِ الْخِلَافِ»،
وَقَالَ: «إِنَّ حَقَّ النِّقْدِ لَا يَجْعَلُ الْحَقَّ حِكْرًا عَلَى النَّاقِدِ»،
وَقَالَ: «إِنَّ سُوءَ الْأَدَبِ فِي الْجَدَلِ وَالْمُنَظَرَةِ
يُسَوِّغُ لِأَصْحَابِهِ اسْتِغْلَالَكَ أَغْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ،
وَلَا سِيَّما الْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ؛ فَيَتَحَوَّلُ الْإِهْتِمَامُ
إِلَى تَتَبُعِ الزَّلَّاتِ، وَتَلَمُّسِ الْعَثَرَاتِ؛ فَيَتَّبِعُ كَثِيرٌ مِنَ الظَّنِّ،
مِنْ أَجْلِ أَنْ قَلِيلَهُ كَانَ صَوَابًا...»
وَقَالَ فَضِيلَتُهُ: «فَكُلُّ عَالِمٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ،
وَفَرَقٌ بَيْنَ نَقْدِ عَالِمٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ
لَهُ بَاغٌ فِي الْعِلْمِ وَالِدُّعْوَةِ، وَأَثَرٌ حَسَنٌ عَلَى الْأُمَّةِ،
وَبَيْنَ الرَّدِّ عَلَى مُلْحِدٍ مُتَجَنِّ، أَوْ كَافِرٍ مُغْرِضٍ،
أَوْ مُسْتَشْرِقٍ حَاقِدٍ».

ثُمَّ أَكَّدَ الشَّيْخُ ذَلِكَ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ بِتَارِيخِ
٢٨ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤١٢ هـ، بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ،

مُحَذَّرًا مِنَ الْخِلَافِ وَالشُّقَاقِ ، وَمِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْهَوْجَاءِ ! ..

وَمَا هُوَ إِذَا يَقُولُ : « إِنَّ الْأَخْتِلَافَ فِي وَجْهَاتِ النَّظَرِ

- بِذَاتِهِ - لَا يُثِيرُ نِزَاعًا ، وَلَا يُؤَلِّدُ تَنَافُرًا .

وَلَكِنْ صَاحِبَ الْهَوَى ، وَالْمُعْجَبَ بِنَفْسِهِ ،

يَجْعَلُ الْحَقَّ فِي كِفَّةٍ ، وَنَفْسَهُ الْمَخْذُولَةَ فِي كِفَّةٍ ! ..

إِنَّ الْخِلَافَ الْعِلْمِيَّ لَا يُثِيرُ حَفَائِظَ النُّفُوسِ

وَمَكْتُونَاتِ الصُّدُورِ إِلَّا عِنْدَ مَنْ قَلَّ فِي دِينِ اللَّهِ فَقْهُهُ ،

وَضَعُفَتْ تَرْبِيَّتُهُ ، وَسَاءَ قِصْدُهُ ، وَخَبِثَتْ نِيَّتُهُ ! ..

أَمَّا الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ ، وَالِدُّعَاةُ الصَّادِقُونَ ،

وَالْكِتَابُ الْمُخْلِصُونَ ، فَأُولَئِكَ عَنْ هَذَا مُبْعَدُونَ .

وَيُدَافِعُ الشَّيْخُ الْمَالِكِيُّ عَنِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ،

وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مَضْذَرًا لِلتَّكْفِيرِ ، أَوْ الْهُجُومِ وَالتَّجْرِيعِ .

وَحَقًّا مَا قَالَ ؛ فَالْمَمْلَكَةُ هِيَ دَوْلَةُ الْعَقِيدَةِ

السُّلَفِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي قَامَتْ بِهَا ، وَعَلَيْهَا ..

وَمَا هُمْ أَوْلَاءُ رُمُوزِ عُلَمَائِهَا ، وَذِرْوَةِ مُفَكِّرِيهَا ، وَأَقْطَابِهَا ،

يَتَبَرَّءُونَ مِنْ كُلِّ مَنْ يَهْرِفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ فِي أُمُورِ الدِّينِ ،

وَفِي أَاسَاسِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ النَّاصِعَةِ .

ثُمَّ انْتَقَلَ بِنَا الشَّيْخُ الْمَالِكِيُّ - فِي مُؤَلَّفِهِ الْقَيْمِ هَذَا -
إِلَى رَأْيِ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ
- حَفِظَهُ اللَّهُ، وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُ - حَيْثُ ذَكَرَ فَضِيلَتُهُ
التَّحْذِيرَ مِنَ الْإِنْحِرَافِ وَرَاءَ التِّيَّارَاتِ الْفَاسِدَةِ
الَّتِي تُخَالِفُ الشَّرْعَ الْحَنِيفَ ..
وَحَذَّرَ كُلَّ مُسْلِمٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِي هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ،
وَهُوَ دَاءُ التَّكْفِيرِ ..

وَقَدْ سَأَقِ الْأَدِلَّةَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،
مَوْضِعًا أَنَّ مَنْ حَكَمَ عَلَى إِنْسَانٍ بِالْكُفْرِ،
وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَيَكُونُ هُوَ الْكَافِرَ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ..
كَمَا شَدَّدَ عَلَى النَّهْيِ عَنْ تَكْفِيرِ الْحُكَّامِ وَالْعُلَمَاءِ ..
لَكِنْ مَا الْمِيزَانُ الَّذِي يَخْتَكِمُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُ الْفَاقِهَ،
وَالدَّاعِيَةُ الْخَصِيفُ، فِي وَسْطِ هَذَا الْجَوْ الْمُتَلَاطِمِ
مِنَ الْأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ !؟ ..
إِنَّ الْمِيزَانَ - كَمَا يَقُولُ الشَّيْخُ - هُوَ « مِيزَانُ الْإِيمَانِ » ..
وَيَنْقُلُ الشَّيْخُ مَا قَالَهُ الْعَلَّامَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى اللَّهِ
الْإِمَامُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ مَشْهُورٍ الْحَدَّادُ :

« وَقَدْ اتَّعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى مَنَعِ تَكْفِيرِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ

إِلَّا بِمَا فِيهِ نَفْيُ الصَّانِعِ الْقَادِرِ - جَلُّ وَعَلَا -

أَوْ شِرْكٌ جَلِيٌّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، أَوْ إنْكَارُ النُّبُوَّةِ،

أَوْ إنْكَارُ مَا عَلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، أَوْ إنْكَارُ

مُتَوَاتِرٍ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ ضَرُورَةٌ مِنَ الدِّينِ » .

ثُمَّ يَنْقُلُ قَوْلَهُ : « فَلَا يَجُوزُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ : الرُّكُضُ

فِي هَذَا الْمَيْدَانِ، وَالتَّكْفِيرُ بِالْأَوْهَامِ وَالْمَظَانِّ،

دُونَ تَثَبُّتٍ وَيَقِينٍ، وَعِلْمٍ مَتِينٍ،

وَلَا أَنْخَبَلَطَ سَبِيلُهَا بِالْأَبْطَحِ،

وَلَمْ يَبْقَ مُسْلِمٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا الْقَلِيلُ،

كَمَا لَا يَجُوزُ التَّكْفِيرُ بِأَزْتِكَابِ الْمَعَاصِي

مَعَ الْإِيمَانِ، وَالْإِقْرَارِ بِالشَّهَادَتَيْنِ ..

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« ثَلَاثٌ مِنْ أَضَلِّ الْإِيمَانِ :

الْكُفُّ عَمَّنْ قَالَ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »،

لَا تُكْفَرُهُ بِذَنْبٍ،

وَلَا نُخْرِجُهُ عَنْ أَصْلِ الْإِسْلَامِ بِالْعَمَلِ ..

وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ

إِلَى أَنْ يُقَاتَلَ آخِرُ أُمَّتِي الدُّجَّالُ،

لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ،

وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ ..

وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ .

وَيَنْتَقِلُ الشَّيْخُ الْمَالِكِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى التَّغْلِيْقِ عَلَى حَدِيثٍ :

« سَبَابُ الْمُسْلِمِ : فَسُوقٌ .. وَقِتَالُهُ : كُفْرٌ » ،

وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ ،

وَقَدْ سَأَلَ خِلَالَ ذَلِكَ حَدِيثَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه ،

فِي سِرِّيَّتِهِ إِلَى بَنِي جُزَيْمَةَ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ،

وَقَدْ حَدَّثَ خَطَأً ؛ قَتَلَ مِنْ جَانِبِ

بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ لِبَعْضِ بَنِي جُزَيْمَةَ .

فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ مَا فَعَلَ خَالِدٌ قَالَ :

« اللَّهُمَّ : إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ » ،

قَالَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ .

كَمَا سَأَلَ قِصَّةَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ : حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبْنِ حَبِيبِهِ

حِينَ كَانَ فِي بَعْثٍ إِلَى الْحُرَقَةِ ،

وَقَتْلَ رَجُلًا قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ،

فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ذَلِكَ قَالَ :

« يَا أُسَامَةُ ، أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ؟

قُلْتُ : (كَانَ مُتَعَوِّذًا) ..

فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى تَمَيَّنْتُ

أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ .

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ :

« أَلَا شَقَقْتُ عَنْ قَلْبِهِ ؟

فَتَعَلَّمَ : أَصَادِقُ أَمْ كَاذِبٌ ؟ » ،

قَالَ أُسَامَةُ : (لَا أَقَاتِلُ أَحَدًا يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) .

وَقَدْ سُئِلَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع) عَنِ الْمُخَالِفِينَ لَهُ

مِنَ الْفِرَقِ : (أَكْفَارُ هُمْ ؟)

قَالَ : (لَا ، إِنَّهُمْ مِنَ الْكُفْرِ قَرُّوا) ،

فَقِيلَ : (أُمُنَافِقُونَ هُمْ ؟)

فَقَالَ : (لَا ، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ..

وَهُؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا) ،

فَقِيلَ : (أَيْ شَيْءٌ هُمْ ؟)

قَالَ : (قَوْمٌ أَصَابَتْهُمْ الْفِتْنَةُ ؛ فَعَمُوا وَصَمُّوا) .

وَمَا أَجْدَرَ أَنْ يَنْطَبِقَ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى الَّذِينَ
يُكْفَرُونَ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْأَوْنَةِ ، وَالْعُلَمَاءَ بِالذَّاتِ ،
وَيُرَوِّعُونَ الْأَمِينِينَ ، وَيُؤَزِّقُونَ مَضَاجِعَ الْوَادِعِينَ ،
بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ لِحِسَابِ الْإِسْلَامِ ! ..
هُوَ الْحَقُّ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَلَى حِسَابِ الْإِسْلَامِ ،
وَالْإِسْلَامُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ ! ..

وَسَاقُ الشَّيْخِ الْمَالِكِيِّ أَقْوَالَ السَّلَفِ ،
وَيَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ التَّكْفِيرِ ؛
كَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَيزِيدَ الرُّقَاشِيِّ ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَالْإِمَامِ الطُّحَاوِيِّ الَّذِي قَالَ :
« قَدْ أَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ ،

وَنُهِنَا عَنْ اتِّبَاعِ الظَّنِّ ، وَاتِّبَاعِ مَا لَيْسَ كُنَا بِهِ عِلْمٌ » .
وَقَالَ قَوْلُهُ عَظِيمَةً : « إِنَّ اسْتِبَاحَةَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ
مِنَ الْمُصَلِّينَ إِلَى الْقِبْلَةِ ، الْمُصَرِّحِينَ بِقَوْلِ :
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » : خَطَأٌ ..

وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ :

أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَا فِي سَفْكِ مِخْجَمَةٍ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ ،
وَمِثْلُ هَذَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَأَبُو بَطِينٍ .

وَفَرَّقَ الشَّيْخُ الْمَالِكِيُّ بَيْنَ مَقَامِ الْخَالِقِ
وَمَقَامِ الْمَخْلُوقِ ، مُؤَكِّدًا أَنَّنَا - بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى -
نَعْرِفُ مَا يَجِبُ لِلَّهِ - تَعَالَى -

وَمَا يَجِبُ لِرَسُولِهِ ﷺ ،

وَنَعْرِفُ مَا هُوَ مَخْصُصٌ حَقُّ لِلَّهِ - تَعَالَى -

وَمَا هُوَ مَخْصُصٌ حَقُّ لِرَسُولِهِ ﷺ ،

مِنْ غَيْرِ عُلُوٍّ وَلَا إِطْرَاءٍ

يَصِلُ حَدُّ وَصْفِهِ بِخَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ ،

فِي الْمَنْعِ وَالْعَطَاءِ ، وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ الْإِسْتِقْلَالِيَّ

(دُونَ اللَّهِ - تَعَالَى -) ،

وَالسُّلْطَةَ الْكَامِلَةَ ، وَالْهَيْمَنَةَ الشَّامِلَةَ ، وَالْخَلْقَ ، وَالْمُلْكَ ،

وَالْتَّذْيِيرَ ، وَالتَّفَرُّدَ بِالْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالتَّقْدِيسِ ،

وَالْتَّفَرُّدَ بِالْعِبَادَةِ بِمُخْتَلِفِ أَنْوَاعِهَا ، وَأَحْوَالِهَا ، وَمَرَاتِبِهَا .

وَيُؤَكِّدُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ بَشَرٌ،

لَكِنَّهُ بَشَرٌ يُوحَى إِلَيْهِ ..

ثُمَّ ذَكَرَ الْأُمُورَ الْمُشْتَرَكَةَ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ :

مَقَامِ الْخَالِقِ وَمَقَامِ الْمَخْلُوقِ ، وَأَنَّهَا لَا تُنَافِي التَّنْزِيهَ ؛

كَالْخَصَائِصِ النَّبَوِيَّةِ ؛

مِثْلُ : الشَّفَاعَةِ ، وَعِلْمِ الْغَيْبِ ، وَالْهُدَايَةِ .

ثُمَّ انْتَقَلَ الشَّيْخُ الْمَالِكِيُّ إِلَى قَضِيَّةٍ خَطِيرَةٍ ؛

وَهِيَ « الْعَوَامُّ .. وَمَبْنَحُ الصِّفَاتِ فِي الْعَقِيدَةِ » ؛

إِذْ إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ سُؤَالَ الْعَوَامِّ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ - تَعَالَى - ،

وَعَنْ كَلَامِهِ ، وَعَنْ الْحُرُوفِ ، وَأَنَّهَا قَدِيمَةٌ أَوْ مُحَدَّثَةٌ ،

وَعَنْ الْإِسْتِوَاءِ وَكَيْفِيَّتِهِ ؛ إِذْ إِنَّ اشْتِغَالَ الْعَوَامِّ

بِمَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى أَهْلِيَّةٍ :

مِنْ أَعْظَمِ آلِفَاتٍ .. وَهُوَ مِنَ الْمُثِيرَاتِ لِلْفِتَنِ .

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعَوَامِّ هُنَا الشُّوقِيَّةُ وَالْأَجْلَافُ مِنْ أَهْلِ

السَّوَاءِ فَقَطْ ، بَلْ فِي مَعْنَى الْعَوَامِّ الْأَدِيبُ ، وَالنَّحْوِيُّ ،

وَالْفَيْلَسُوفُ ، مِنْ غَيْرِ الْمُخْتَصِّصِينَ فِي شُئُونِ الْعَقِيدَةِ .

ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ الْمَالِكِيُّ أَنَّ مِنْ شُعَبِ

التَّكْفِيرِ : الْكِبَرُ وَالْعُجْبُ وَالْإِخْتِقَارُ ؛

إِذَا الْمُكْفَرُونَ يُعْجَبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ . . .

وَالْعُجْبُ بِدَايَةِ خَطِيرَةٍ لِأَقْبَحِ خُلُقٍ نَهَى عَنْهُ الْإِسْلَامُ ،

وَحَذَّرَ مِنْهُ ؛ إِنَّهُ الْكِبَرُ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ أَوَّلُ كَافِرٍ

فِي الْخَلْقِ ؛ وَهُوَ إِبْلِيسُ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ .

وَالْمُتَكَبِّرُ عَدُوُّ اللَّهِ ، قَالَ - تَعَالَى - :

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (٢٣) [التَّحْكَكُ] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُنْفَرِدِ :

« الْكِبْرِيَاءُ : رِدَائِي ، وَالْعِظَمَةُ : إِزَارِي .

فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا :

الْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ وَلَا أَبَالِي . . » . (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ . .

وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءٍ » .

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ) .

وَلِلْكِبْرِ عِلَامَاتٌ مِنْهَا : حُبُّ التَّقَدُّمِ عَلَى النَّاسِ ،
وإِظْهَارُ التَّرَفُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِيَةُ النَّفْسِ ، وَالشَّنَاءُ عَلَيْهَا ...
وَأَشَارَ الشَّيْخُ الْمَالِكِيُّ إِلَى أَنَّ الْعُجْبَ هُوَ مِفْتَاحُ الشُّرُورِ ،
وَهُوَ مَذْمُومٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، قَالَ - تَعَالَى - :
﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾

فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴿٢٥﴾ ﴿ [التَّوْبَةُ]
وَقَالَ ﷺ لِأَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ :

« إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ،

وَأَعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ : فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ . »

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَحَسَنَهُ ابْنُ مَاجَهَ) .

وَقِيلَ لِعَائِشَةَ ؓ : (مَتَى يَكُونُ الرَّجُلُ مُسِيئًا ؟)

قَالَتْ : « إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ مُحْسِنٌ » ؛ أَيْ : ظَنَّ الْمُعْجَبِينَ ،

وَهُوَ غَيْرُ ظَنَّ الْمُحْسِنِينَ ، فَذَلِكَ رَجَاءُ الْإِحْسَانِ .

وَأَفَاتُ الْعُجْبِ كَثِيرَةٌ ؛ فَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْكِبْرِ ، وَهُوَ

أَحَدُ أَسْبَابِهِ . وَالْعُجْبُ يَدْعُو إِلَى نِسْيَانِ الذُّنُوبِ وَإِهْمَالِهَا ! ..

وَالْمُعْجَبُ يَغْتَبِرُ بِنَفْسِهِ وَبِرَأْيِهِ ، وَيَأْمَنُ بِكَرِّ اللَّهِ وَعَذَابِهِ ،

وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ

فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنعام]



أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ ، هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ،
وَتَنْبِيهٌُ لِلْغَافِلِينَ ، وَدَقٌّ لِأَجْرَاسِ الْخَطَرِ حِيَالِ
هَؤُلَاءِ الْمُكْفَرِينَ وَالْمُفْسِقِينَ وَالْمُبْدُعِينَ ،
وَدَعْوَةٌ إِلَى كُلِّ مَسْئُولٍ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، عَلَى مُسْتَوَى الْأَفْرَادِ ،
وَالْهَيْئَاتِ ، وَالْجَمَاعَاتِ ، وَالْمُؤَسَّسَاتِ ، وَالْأَدْوَلِ ،
إِلَى أَنْ يُعِيدُوا النَّظَرَ فِي مَنَاهِجِ تَرْبِيَةِ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ ،
فَلِنَبْحَثْ عَنِ الْعِلَلِ ، وَلِنَحْدِثْ أَغْرَاضَهَا ،
ثُمَّ لِنَصِفْ لَهَا الدَّوَاءَ النَّاجِعَ الَّذِي يَكْفُلُ لَهَا الشُّفَاءَ التَّامَّ ..
أَلَا وَإِنَّ دَوَاءَ أُمَّتِنَا فِي تَوْحِيدِهَا ، وَعَدَمِ تَفْرِيقِهَا ،
وَفِي لُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَفِي عَدَمِ تَوْزِيْعِ التُّهَمِ عَلَى الْآخَرِينَ ..

وَحَيْثُ سَرَّتْ تَفِيعُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ خَفَاقَةً مُدَوِّيَةً ..
 وَسَيُحَقِّقُ اللَّهُ النُّصْرَ لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَعْدَائِهَا،
 بَعْدَ أَنْ تُوَحِّدَ كَلِمَتَهَا، وَتَجْمَعَ صُفُوفُهَا،
 وَتَتَمَسَّكَ بِقُرْآنِ رَبِّهَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّهَا ﷺ،
 وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَكْثَمَ الْمُنَى
 وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا



كُتِبَ

د / محمد متولى منصور

جامعة الأزهر - أسرة سبيل الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَلَقَدْ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ فِي هَذِهِ الْأَعْصُرِ الْأَخِيرَةِ
الْجَدِيدَةِ بِمَحَنٍ وَبَلَايَا وَزَلَزَلٍ نَفْسِيَّةٍ شَدِيدَةٍ، حَتَّى
شَكَّ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فِي وَعْدِ اللَّهِ
الْكَرِيمِ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ لِأَهْلِ الْحَقِّ وَقَالُوا: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١)؛ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مَا
زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا وَثُورًا، وَثَبَاتًا وَطُمَأْنِينَةً
وَفَرَحًا وَسُرُورًا، بِثَوَابِ الْعَامِلِينَ وَجَوَائِزِ الصَّادِقِينَ،
وَرِضَا رَبِّ الْعَالَمِينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ

وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، وَالتَّابِعِينَ
لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الْمَحَنِ وَالْمَصَائِبِ مَا يَجْرِي عَلَى
السَّاحَةِ الْيَوْمَ مِنْ تَكْفِيرٍ وَنَقْدٍ وَرُدُّودٍ تَحَوَّلَتْ إِلَى عِنَادِ
شَخْصِيٍّ ، وَانْتِصَارٍ ذَاتِيٍّ ، وَعَدَاءٍ ظَاهِرٍ ، وَانْتِهَالٍ
لِلْأَغْرَاضِ وَالْحُرُمَاتِ ، وَتَلَمُّسٍ لِلْمَعَائِبِ ، وَتَشَهُ
بِإِلْصَاقِ التَّهَمِ بِالنَّاسِ وَتَتَبُعِ الْعَوْرَاتِ وَالْهَفَوَاتِ ، وَنَشْرِ
لِلْعَثَرَاتِ ، وَسَرِّ لِلْخَيْرَاتِ وَالْفَضَائِلِ ، وَمَنْ ذَا الَّذِي مَا
سَاءَ قَطُّ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

سَامِخْ أَخَاكَ إِذَا خَلَطَ	مِنْهُ الْإِصَابَةُ بِالْغَلَطِ
وَتَجَافَ عَنْ تَغْنِيفِهِ	إِنْ جَارَ يَوْمًا أَوْ قَسَطَ
مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ	وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ
غَيْرُ نَبِيِّنَا الَّذِي	عَلَيْهِ جِبْرِيلُ هَبَطَ

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ :

وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ وَالطَّامَةُ الَّتِي كُنَّا نَخَافُ
مِنْهَا ، وَنُحَذِّرُ شَبَابَنَا مِنَ الْوُقُوعِ وَالِدُخُولِ فِي ظُلُمَاتِهَا :

وَهَذِهِ الْبَلِيَّةُ هِيَ مَا نَسَمَعُهُ مِنَ الطُّغْنِ فِي الْعُلَمَاءِ
بِأَسْلُوبِ مَا كَانَ يُعْرَفُ مِنْ قَبْلُ ، وَمَا كَانَ يُتَوَقَّعُ أَنَّهُ فِي
يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ يَقَعُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ خَاصَّةً ، وَالَّتِي لَا يَزَالُ
بِهَا الْعُلَمَاءُ الْأَجَلَاءُ الَّذِينَ هُمْ بَقِيَّةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ ،
وَقَدْ وَصَلَ الْأَمْرُ هَذَا ذِرْوَتَهُ وَظَهَرَ فِي أَشَدِّهِ وَأَسْتَوَى
عَلَى سُوقِهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ . اهـ .

يَقُولُ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ طه جابر فياض العلوانى
أُسْتَاذُ الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ فِي جَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعُودٍ
الْإِسْلَامِيَّةِ سَابِقًا :

بَدَأْنَا نَرَى شَبَابًا يَنْتَسِبُونَ إِلَى السَّلَفِيَّةِ ، وَآخَرِينَ
يَنْتَسِبُونَ إِلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَفَرِيقًا يَنْتَسِبُونَ إِلَى
الْمَذْهَبِيَّةِ ، وَآخَرِينَ يَدْعُونَ الْأَمْذَهَبِيَّةَ ، وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ
وَأُولَئِكَ تُتَبَادَلُ الْإِتِّهَامَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ مِنَ التَّكْفِيرِ
وَالْتَّفْسِيقِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْبِدْعَةِ وَالْإِنْحِرَافِ وَالْعَمَالَةِ
وَالْتَّجَسُّسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، مِمَّا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ أَنْ يَنْسُبَ
أَخَاهُ إِلَيْهِ بِحَالٍ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُغْلِنَهُ لِلنَّاسِ بِكُلِّ مَا
لَدَيْهِ مِنْ وَسَائِلَ ، غَافِلِينَ أَوْ مُتَغَافِلِينَ عَنْ أَنْ مَا يَتَعَرَّضُ

لَهُ الْإِسْلَامُ مِنْ مُحَاوَلَاتِ اسْتِثْصَالِ أخطرُ عَلَى الْأُمَّةِ
 مِنْ تِلْكَ الْأَخْتِلَافَاتِ، وَإِذَا كَانَ لِلْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ
 أَسْبَابُ اخْتِلَافٍ تُبَرَّرُ اخْتِلَافَاتِهِمْ وَتُخَفَّفُ مِنْهَا،
 وَتُسَاعِدُ عَلَى وَضْعِهَا ضِمْنِ ضَوَابِطِ الْأَخْتِلَافِ، فَإِنَّ
 أَرْيَابَ الْأَخْتِلَافِ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ لَا يَمْلِكُونَ سَبَبًا
 وَاحِدًا مِنْ أَسْبَابِ الْأَخْتِلَافِ الْمَعْقُولِ، فَهُمْ لَيْسُوا
 بِمُجْتَهِدِينَ، وَكُلُّهُمْ مُقَلِّدُونَ بِمَنْ فِيهِمْ أَوْلِيكَ الدِّينِ
 يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ عَالِيًا بِبَيْدِ الثَّقَلِيدِ وَنَفْيِهِ عَنْ
 أَنْفُسِهِمْ، وَأَلَهُمْ يَأْخُذُونَ بِالْأَحْكَامِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
 مُبَاشَرَةً دُونَ تَقْلِيدٍ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ يَعْكُفُونَ عَلَى
 بَعْضِ كُتُبِ الْحَدِيثِ، وَيُقَلِّدُونَ كَاتِبِيهَا فِي كُلِّ مَا
 يَقُولُونَ فِي الْحَدِيثِ وَدَرَجَتِهِ وَرِجَالِهِ، وَيَتَابِعُونَهُمْ فِي
 كُلِّ مَا يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْ تِلْكَ الْكُتُبِ أَوْ يَنْقُلُونَهُ مِنَ
 الْفُقَهَاءِ.

قُلْتُ: وَغَايَةُ مَا يَفْعَلُونَهُ هُوَ تَقْلِيدُ عُلَمَائِهِمْ مِمَّنْ
 يَدْعُونَ إِلَى اجْتِهَادٍ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَتَرْكُ تَقْلِيدِ
 الْأَئِمَّةِ السَّابِقِينَ، إِذْ تَرَاهُمْ يَنْقُلُونَ مَثَلًا الْحَدِيثَ

وَحُكْمَ الْعُلَمَاءِ السَّابِقِينَ عَلَيْهِ تَضَحِيحًا أَوْ تَضْعِيفًا،
ثُمَّ يُؤَيِّدُونَ ذَلِكَ بِكَلَامِ الْمُعَاصِرِينَ وَيَنْقُلُونَهُ قَضِيَّةً
مُسَلَّمَةً لَا شَكَّ فِيهَا.

أَلَيْسَ هَذَا هُوَ التَّقْلِيدُ بِعَيْنِهِ؟ بَلْ هُوَ التَّقْلِيدُ
الْأَعْمَى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الْصُّدُورِ﴾^(١).

ثُمَّ قَالَ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ الْفَيَّاضُ : وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ مَنْ
يَنْسُبُ لِنَفْسِهِ الْعِلْمَ بِالرُّجَالِ وَمَعْرِفَةَ مَرَاتِبِ الْجَرْحِ
وَالْتَّعْدِيلِ وَتَارِيخِ الرُّجَالِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَا يَعْدُو أَنْ
يَكُونَ قَدْ دَرَسَ كِتَابًا مِنْ كُتُبِ الْقَوْمِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ
أَوْ ذَاكَ، فَأَبَاحَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَغْتَلِي مِنْبَرَ الْإِجْتِهَادِ، وَحَقٌّ لَهُ
أَنْ يَتَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ، وَحَرِيٌّ بِمَنْ نَالَ نَصِيبًا مِنَ
الْعِلْمِ أَنْ يَنْهَاهُ عِلْمُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَأَنْ
يَرْتَفِعَ عَنْ تَوَزِيعِ الْأَلْقَابِ وَاتِّهَامِ النَّاسِ، وَيُذَرِّكَ خُطُورَةَ
مَا تَتَعَرَّضُ لَهُ عَقِيدَةُ الْأُمَّةِ، فَيَعْمَلُ عَلَى الذَّبِّ عَنْهَا،

(١). سورة الحج : الآية ٤٦ .

وَيَحْرِصُ عَلَى جَمْعِ الْقُلُوبِ ، وَمَا دَامَ الْجَمِيعُ يُقَلِّدُونَ
وَيَأْخُذُونَ عَنْ أَيْمَتِهِمْ أَقْوَالَهُمْ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ - وَإِنْ
زَعَمُوا غَيْرَ ذَلِكَ - فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَلْتَزِمُوا بِآدَابِ
الْإِخْتِلَافِ الَّتِي عَاشَ فِي كَنْفِهَا كِرَامُ الْأَيْمَةِ مِنَ
السَّلَفِ^(١) . اهـ .

لَقَدْ أَبْثَلِينَا بِجَمَاعَةٍ تَخَصَّصَتْ فِي تَوْزِيعِ الْكُفْرِ
وَالشُّرْكِ وَإِضْدارِ الْأَحْكَامِ بِالْقَابِ وَأَوْصَافِ لَا يَصِحُّ وَلَا
يَلِيقُ أَنْ تُطْلَقَ عَلَى مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِيمَنْ يَخْتَلِفُ فِي
الرَّأْيِ وَالْمَذْهَبِ مَعَهُ : مُخَرَّفٌ دَجَالٌ ...
مُشْغَوذٌ ... مُبْتَدِعٌ ... وَفِي النُّهَايَةِ : مُشْرِكٌ ...
وَكَافِرٌ ...

وَلَقَدْ سَمِعْنَا كَثِيرًا مِنْ السُّفَهَاءِ الَّذِينَ يَنْسُبُونَ
أَنْفُسَهُمْ إِلَى الْعَقِيدَةِ يَكِيلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ جُزَافًا
وَيَزِيدُ بَعْضُ جَهْلَتِهِمْ بِقَوْلِهِ : دَاعِيَةُ الشُّرْكِ وَالضَّلَالِ فِي

(١) (أَدَبُ الْإِخْتِلَافِ فِي الْإِسْلَامِ) . لِلدُّكْتُورِ طَهْ جَابِرٍ قِيَّاضٍ .

هَذِهِ الْأَزْمَانِ، وَمُجَدِّدُ مِلَّةِ عَمْرِو بْنِ لُحَيٍّ الْمَدْعُوُّ
بِفُلَانٍ...

هَكَذَا نَسْمَعُ بَعْضَ السُّفَهَاءِ يَكِيلُ مِثْلَ هَذَا السَّبِّ
وَالشَّتْمِ وَبِمِثْلِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْقَبِيحَةِ الَّتِي لَا تَصْدُرُ إِلَّا
عَنِ السُّوْقَةِ الَّذِينَ لَمْ يُجِيدُوا أُسْلُوبَ الدَّعْوَةِ وَطَرِيقَةَ
الْأَدَبِ فِي النُّقَاشِ.

هَكَذَا تَأْتِي هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مُتَتَابِعَةً وَمُتَتَالِيَةً، وَهَكَذَا
نَسْمَعُهَا بِنَعْمَةٍ وَاحِدَةٍ وَفِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ وَفِي مَنَبَعٍ
وَاحِدٍ.

لِذَلِكَ نَبِّهَ الْغَيُورُونَ مِنْ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَالْفِكْرِ
وَالنَّظَرِ وَالْعَقْلِ وَالْفَهْمِ الصَّحِيحِ لِلدِّينِ وَأَحْوَالِ
الْمُجْتَمَعِ وَمُتَغَيِّرَاتِ الزَّمَانِ الَّتِي لَا تَقْدَحُ فِي أَصْلِ
الدِّينِ، وَإِنَّمَا هِيَ دَاخِلَةٌ تَحْتَ هَيْمَنَتِهِ وَقِيَادَتِهِ
وَسُلْطَانِهِ إِذَا أَحْسَنَ النَّاطِرُ الْبَاحِثُ فَهْمَهَا وَاتَّقَنَ
تَدْبِيرَهَا، وَتَبَصَّرَ فِيهَا بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ عِلْمٍ وَعَقْلِ
وَفَهْمٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

تَنْبَهَ الْعُلَمَاءُ لِهَذِهِ الْفِتْنَةِ الَّتِي يَسْتَغِلُّهَا أَعْدَاءُ
الْإِسْلَامِ لِلْإِيقَاعِ بِأَهْلِهِ، وَضَرْبِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، فَقَامُوا
بِوَاجِبِ النَّصِيحَةِ وَالتَّخْذِيرِ، فَجَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ
الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَجَمَعَ بِهِمْ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ،
وَأَزَالَ بِهِمُ التَّفَرُّقَ وَالْخِلَافَ.

وَهَذِهِ خُلَاصَةٌ مُفِيدَةٌ شَارَكْنَا فِي هَٰذَا الْمَوْضُوعِ
الْمُهِمِّ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا وَأَنْ يَجْعَلَهَا خَالِصَةً
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

وَإِنِّي أَرْجُو مِمَّنْ يَطَّلِعُ عَلَى بَعْضِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ
فِي هَٰذَا الْخُصُوصِ وَيَجِدُ فِي نَفْسِهِ مُخَالَفَةً وَيُرِيدُ أَنْ
يَنْتَقِدَ أَوْ أَنْ يَعْتَزِّضَ، أَنْ يَلْتَزِمَ الْأَدَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَنْ
يَبْتَغِدَ عَمَّا تَعَوَّدَهُ بَعْضُ الْمُتَتَقِدِينَ مِنَ الْفُجُورِ فِي
الْخِصَامِ وَالْغُلُوِّ فِي الْبُغْضِ وَالْهَجُومِ فِي الْكَلَامِ دُونَ
تَفْرِيقِ بَيْنَ حَلَالٍ وَحَرَامٍ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

مَوْقِفُ الْإِمَامَيْنِ : ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَالشُّوكَانِيِّ

يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّيْخُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : « إِنَّ الْقَوْلَ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا فَيُطْلَقُ الْقَوْلُ بِتَكْفِيرِ صَاحِبِهِ ، وَيُقَالُ : مَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ ، لَكِنَّ الشَّخْصَ الْمُعَيَّنَ الَّذِي قَالَهُ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ ، حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يُكْفَرُ تَارِكُهَا ، وَهَذَا كَمَا فِي نُصُوصِ الْوَعِيدِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ ^(١) .

فَهَذَا وَنَحْوُهُ مِنْ نُصُوصِ الْوَعِيدِ حَقٌّ ، لَكِنَّ الشَّخْصَ الْمُعَيَّنَ لَا يُشْهَدُ عَلَيْهِ بِالْوَعِيدِ ، فَلَا يُشْهَدُ عَلَى مُعَيَّنٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِالنَّارِ لِجَوَازِ أَنْ لَا يَلْحَقَهُ الْوَعِيدُ ، لِغَوَاةِ شَرْطِ أَوْ ثُبُوتِ مَانِعٍ ، فَقَدْ لَا يَكُونُ التَّحْرِيمُ بَلَاغَهُ ، وَقَدْ يَثُوبُ مِنْ فِعْلِ الْمُحَرَّمَ ، وَقَدْ تَكُونُ

لَهُ حَسَنَاتٌ عَظِيمَةٌ تَمْحُو عُقُوبَةَ الْمُحَرَّمَ، وَقَدْ يُبْتَلَى بِمَصَائِبَ تُكَفِّرُ عَنْهُ، وَقَدْ يَشْفَعُ فِيهِ شَفِيعٌ مُطَاعٌ.

قَالَ: وَهَكَذَا الْأَقْوَالُ الَّتِي يُكَفِّرُ قَائِلُهَا، قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ لَمْ تَبْلُغْهُ النَّصُوصُ الْمُوجِبَةُ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ.

قَالَ: وَقَدْ تَكُونُ بَلَغَتْهُ وَلَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ، أَوْ لَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنْ فَهْمِهَا، وَقَدْ تَكُونُ عَرَضَتْ لَهُ شُبُهَاتٌ يَغْدِرُهَا اللَّهُ بِهَا.

قَالَ: وَمَذَاهِبُ الْأَئِمَّةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى هَذَا التَّفْصِيلِ بَيْنَ النَّوعِ وَالْمُعَيَّنِ.

وَرَأَيْتُ لِلشَّيْخِ أَيْضًا فِي كِتَابِ «طَرِيقِ الْوُصُولِ إِلَى الْعِلْمِ الْمَأْمُولِ بِمَعْرِفَةِ الْقَوَاعِدِ وَالضُّبُوطِ وَالْأُصُولِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ فِي (ص ٧٦) مَا نَصَّهُ: «وَلَا يَلْزَمُ إِذَا كَانَ الْقَوْلُ كُفْرًا أَنْ يُكَفَّرَ كُلُّ مَنْ قَالَهُ مَعَ الْجَهْلِ وَالتَّأْوِيلِ، فَإِنَّ ثُبُوتَ الْكُفْرِ فِي حَقِّ الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ كَثُوبِ الْوَعِيدِ فِي الْآخِرَةِ فِي حَقِّهِ، وَذَلِكَ لَهُ شُرُوطٌ وَمَوَانِعُ». اهـ.

وَنَقَلَ السَّيِّدُ صَدِيقُ حَسَنُ خَانَ فِي «الرَّوَضَةِ النَّدِيَّةِ»
مَا قَالَهُ الْعَلَّامَةُ الشُّوْكَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «السَّيْلِ الْجَرَّارِ»
قَالَ :

«أَعْلَمَ أَنَّ الْحُكْمَ عَلَى الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ بِخُرُوجِهِ مِنْ
دِينِ الْإِسْلَامِ وَدُخُولِهِ فِي دِينِ الْكُفْرِ، لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ إِلَّا بِرُهَانٍ
أَوْضَحَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ، فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ
الصَّحِيحَةِ الْمَرْوِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ :
«مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» هَكَذَا فِي
الصَّحِيحِ .

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا : «مَنْ دَعَا
رَجُلًا بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ : عَدُوُّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِلَّا حَارَ
عَلَيْهِ : أَيُّ رَجَعَ» .

وَفِي لَفْظٍ فِي الصَّحِيحِ : «فَقَدْ كَفَرَ أَحَدُهُمَا» .

فَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَمَا وَرَدَ مَوْرِدَهَا أُعْظِمُ زَاجِرٍ
وَأَكْبَرُ وَاعِظٍ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي التَّكْفِيرِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ :

﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ ^(١).

فَلَا بُدَّ مِنْ شَرْحِ الصَّدْرِ بِالْكُفْرِ وَطُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ
وَسُكُونِ النَّفْسِ إِلَيْهِ، فَلَا أَعْتِبَارَ بِمَا يَقَعُ مِنْ طَوَارِقِ
عَقَائِدِ الشُّرَكَ لَا سِيَّمَا مَعَ الْجَهْلِ بِمُخَالَفَتِهَا لِطَرِيقَةِ
الْإِسْلَامِ، وَلَا أَعْتِبَارَ بِصُدُورِ فِعْلِ كُفْرِيٍّ لَمْ يُرَدْ فَاعِلُهُ
الْخُرُوجُ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ، وَلَا أَعْتِبَارَ بِلَفْظِ
يَتَلَفَّظُ بِهِ الْمُسْلِمُ يَدُلُّ عَلَى الْكُفْرِ وَلَا يَغْتَقِدُ مَعْنَاهُ.



(١) سورة النحل: الآية ١٠٦.

مَوْقِفُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ

وَقَدْ وَقَفَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ مَوْقِفًا عَظِيمًا، قَدْ يَسْتَنْكِرُهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ وَمَخْسُوبٌ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَكِيلُ الْحُكْمَ بِالتَّكْفِيرِ جُزَافًا لِكُلِّ مَنْ خَالَفَ طَرِيقَتَهُ وَتَبَدَّ فِكْرَتُهُ، وَهَا هُوَ ذَا الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ يُنْكِرُ كُلَّ مَا يُنسَبُ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ التَّفَاهَاتِ وَالسَّفَاهَاتِ وَالْإِفْتِرَاءَاتِ، فَيَقُولُ ضَمَنْ عَقِيدَتِهِ فِي رِسَالَتِهِ الْمَوْجَّهَةِ لِأَهْلِ الْقَصِيمِ:

«ثُمَّ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِسَالَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ سُحَيْمٍ قَدْ وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ، وَأَنَّهُ قَبِلَهَا وَصَدَّقَهَا بَعْضُ الْمُنتَمِينَ لِلْعِلْمِ فِي جِهَتِكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ افْتَرَى عَلَى أُمُورًا لَمْ أَقُلْهَا، وَلَمْ يَأْتِ أَكْثَرُهَا عَلَى بَالِي.

فَمِنْهَا: قَوْلُهُ أَنِّي مُبْطِلُ كُتُبِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ،

وَأَنِّي أَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ مِنْ سِتْمَائَةِ سَنَةِ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَأَنِّي أَدْعِي الْإِجْتِهَادَ، وَأَنِّي خَارِجٌ عَنِ التَّقْلِيدِ، وَأَنِّي أَقُولُ: إِنَّ اخْتِلَافَ الْعُلَمَاءِ نِقْمَةٌ، وَأَنِّي أَكْفَرُ مَنْ تَوَسَّلَ بِالصَّالِحِينَ، وَأَنِّي أَكْفَرُ الْبُوصِيرَى لِقَوْلِهِ: يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ، وَأَنِّي أَقُولُ: لَوْ أَقْدِرُ عَلَى هَذِمِ قُبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهَدَمْتُهَا، وَلَوْ أَقْدِرُ عَلَى الْكَغْبَةِ لَأَخَذْتُ مِيزَابَهَا وَجَعَلْتُ لَهَا مِيزَابًا مِنْ خَشَبٍ، وَأَنِّي أُحَرِّمُ زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنِّي أَنْكِرُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْوَالِدَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، وَأَنِّي أَكْفَرُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَأَنِّي أَكْفَرُ ابْنَ الْفَارِضِ وَابْنَ عَرَبِيٍّ، وَأَنِّي أَخْرِقُ دَلَائِلَ الْخَيْرَاتِ وَرَوْضَ الرِّيَاحِينَ، وَأُسَمِّيهِ رَوْضَ الشَّيَاطِينِ.

جَوَابِي عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ أَنْ أَقُولَ: ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا يَهْتَنُّ عَظِيمٌ﴾^(١).

وَقَبْلَهُ مَنْ يَهْتَ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ يَسُبُّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَيَسُبُّ الصَّالِحِينَ، فَتَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ بِافْتِرَاءِ

الْكَذِبِ وَقَوْلِ الزُّورِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِحَايَتِ اللَّهِ ﴾ ^(١) ... آيَةً ، بَهْتُوهُ ^(٢) بِأَنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ
الْمَلَائِكَةَ وَعِيسَى وَعُزَيْرًا فِي النَّارِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي
ذَلِكَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا
مُبْعَدُونَ ﴾ ^(٣) ^(٢) .



(١) سورة النحل : الآية ١٠٥ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ١٠١ .

(٣) انظر الرسالة الأولى من الرسائل الشخصية ضمن مجموعة

مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب المنشورة

بإهتمام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (القسم

الخاص ص / ٣٧) .

رِسَالَةٌ مُهِمَّةٌ أُخْرَى : لِلشَّيْخِ فِي الْمَوْضُوعِ

هَذِهِ رِسَالَةٌ أَرْسَلَهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابٍ
إِلَى السُّوَيْدِيِّ عَالِمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ لَهُ
كِتَابًا وَسَأَلَهُ عَمَّا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ ، فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ
الرِّسَالَةِ : قَالَ فِيهَا :

« إِنَّ إِشَاعَةَ الْبُهْتَانِ مِمَّا يَسْتَحِى الْعَاقِلُ أَنْ يَحْكِيَهُ
فَضْلًا عَنْ أَنْ يَفْتَرِيَهُ ؛ مِمَّا قُلْتُمْ أَنَّنِي أَكْفَرُ جَمِيعَ النَّاسِ
إِلَّا مَنْ اتَّبَعَنِي ، وَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَدْخُلُ هَذَا فِي عَقْلِ
عَاقِلٍ ، وَهَلْ يَقُولُ هَذَا مُسْلِمٌ ؟

وَمَا قُلْتُمْ لَوْ أَنَّنِي أَقْدِرُ عَلَى هَذِهِ قُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ
لَهَدَمْتُهَا ، وَفِي دَلَائِلِ الْخَيْرَاتِ لِحَرَمَتِهِ ، وَأَنْتَهَى عَنْ
الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَيِّ نَظْمٍ كَانَ ، فَهَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ ،
وَالْمُسْلِمُ لَا يَظُنُّ فِي قَلْبِهِ أَجَلَ مَنْ كِتَابِ اللَّهِ .

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمَا قُلْتُمْ أَنَّنِي
أَكْفَرُ مَنْ تَوَسَّلَ بِالصَّالِحِينَ ، وَأَكْفَرُ الْبُوصِيرِيِّ لِقَوْلِهِ :

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ ، وَأُنْكِرُ زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَنَّى أَنْكِرُ
زِيَارَةَ قَبْرِ الْوَالِدَيْنِ وَغَيْرِهِمْ ، وَأُكْفِّرُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ .

جَوَابِي عَلَى ذَلِكَ أَقُولُ : ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ

عَظِيمٌ﴾ (١) (٢) .



(١) سُورَةُ النُّورِ : آيَةُ ١٦ .

(٢) أَنْظِرِ الْقِسْمَ الْخَامِسَ - الرُّسَائِلُ الشَّخْصِيَّةُ ص ٣٧ مِنْ

مَجْمُوعَةِ مُؤَلَّفَاتِ الشَّيْخِ .

بَيَانُ مُهِمِّ

بَيَانُ مُهِمِّ فِي الْمَوْضُوعِ مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
بَارِ مُفْتَى الْمَمْلَكَةِ :

فِي بَيَانِ لِلرَّئِيسِ الْعَامِّ لِإِدَارَةِ الْبُحُوثِ وَالْإِفْتَاءِ فِي
الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ أَكَّدَ سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ بْنِ بَارِ مُفْتَى الْمَمْلَكَةِ وَالرَّئِيسُ الْعَامُّ لِإِدَارَةِ
الْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ : أَنَّهُ قَدْ شَاعَ فِي هَذَا الْعَصْرِ
أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَنَسِّبِينَ إِلَى الْعِلْمِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ
يَقْعُونَ فِي أَغْرَاضٍ كَثِيرٍ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الدُّعَاةِ
الْمَشْهُورِينَ ، وَيَتَكَلَّمُونَ فِي أَغْرَاضِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ
وَالدُّعَاةِ وَالْمُحَاضِرِينَ .

وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَارِ فِي بَيَانِهِ : إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ
سِرًّا فِي مَجَالِسِهِمْ ، وَرُبَّمَا سَجَّلُوهُ فِي أَشْرَاطٍ تُنَشَرُ عَلَى
النَّاسِ ، وَقَدْ يَفْعَلُونَهُ عِلَانِيَةً فِي مُحَاضَرَاتٍ عَامَّةٍ فِي
الْمَسَاجِدِ ، وَهَذَا الْمَسْلُوكُ مُخَالِفٌ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
وَرَسُولُهُ .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَيْضًا: إِنَّ فِي ذَلِكَ إِفْسَادًا لِقُلُوبِ
الْعَامَّةِ، وَنَشْرًا وَتَرْوِيجًا لِلْكَاذِبِ وَالْإِشَاعَاتِ الْبَاطِلَةِ،
وَسَبَبًا فِي كَثْرَةِ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَفَتْحِ أَبْوَابِ الشَّرِّ
عَلَى مَصَارِيْعِهَا لِضِعَافِ النُّفُوسِ الَّذِينَ يَذْأَبُونَ عَلَى
بَثِّ الشُّبْهِ وَإِثَارَةِ الْفِتَنِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى إِيْدَاءِ
الْمُؤْمِنِينَ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا.

ثُمَّ قَالَ: فَالَّذِي أَنْصَحُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةَ الَّذِينَ وَقَعُوا
فِي أَغْرَاضِ الدُّعَاةِ وَنَالُوا مِنْهُمْ أَنْ يَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
مِمَّا كَتَبَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَوْ تَلَقَّطَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ، مِمَّا كَانَ
سَبَبًا فِي إِفْسَادِ قُلُوبِ بَعْضِ الشُّبَابِ وَشَخْنِهِمْ
بِالْأَخْقَادِ وَالضُّعَائِنِ، وَشَغْلِهِمْ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ
وَعَنِ الدُّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ بِالْقِيلِ وَالْقَالِ وَالْكَلَامِ عَنْ فُلَانٍ
وَفُلَانٍ، وَالْبَحْثِ عَمَّا يَعْتَبِرُونَهُ أخطاءً لِلآخَرِينَ،
وَتَصَيُّدِهَا وَتَكْلُفِ ذَلِكَ، كَمَا أَنْصَحُهُمْ أَنْ يُكْفَرُوا عَمَّا
فَعَلُوا بِكِتَابَةِ أَوْ غَيْرِهَا مِمَّا يُبْرِّتُونَ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ مِثْلِ
هَذَا الْفِعْلِ، وَيُزِيلُونَ مَا عَلِقَ فِي أَذْهَانِ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ
مِنْ قَوْلِهِمْ، وَأَنْ يُقْبِلُوا عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُثْمِرَةِ الَّتِي

تُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وَتَكُونُ نَافِعَةً لِلْعِبَادِ، وَأَنْ يَحْذَرُوا مِنْ
 التَّعَجُّلِ فِي إِطْلَاقِ التَّكْفِيرِ أَوْ التَّفْسِيقِ أَوْ التَّبْدِيعِ
 لِغَيْرِهِمْ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا بُرْهَانٍ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ
 قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» مُتَّفَقٌ عَلَى
 صِحَّتِهِ . اهـ .



تَأْكِيدُ الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ تَحْذِيرَهُ مِنَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّكْفِيرِ وَالتَّشْهِيرِ

وَفِي لِقَاءِ مَفْتُوحٍ تَكَلَّمَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ
مُؤَكِّدًا تَحْذِيرَهُ السَّابِقَ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَمِمَّا جَاءَ فِي ذَلِكَ
الْلِّقَاءِ قَوْلُهُ:

«وَقَدْ قَيَّضَ اللَّهُ لَنَا حُكُومَةً تُرَاعَى أَمْرُ الدِّينِ وَأَمْرُ
الْأَمْنِ وَأَمْرُ الْإِسْلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ
الْمُنْكَرِ، وَتُحْكِمُ شَرِيعَةُ اللَّهِ، وَتَنْهَى عَمَّا نَهَى اللَّهُ
عَنْهُ، هَذِهِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَفِعْلُ ذَلِكَ هُوَ
الْأَضْلُ الَّذِي دَرَجَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الدَّوْلَةُ وَأَسْلَافُهَا، وَدَرَجَ
عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ مِنْذُ عَهْدِ الشَّيْخِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمِنْ عَهْدِ الْإِمَامِ
مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَالِدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى
تَوْحِيدِهِ وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَالنَّظَرِ فِي هَذِهِ
النُّعْمَةِ وَشُكْرِ اللَّهِ عَلَيْهَا، ثُمَّ التَّوَاصِي بِالدَّوامِ عَلَيْهَا

وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ وَالْعَامَّةِ
وَالْخَاصَّةِ، هِيَ نِعْمَةٌ يَجِبُ أَنْ نَتَبَاهَى بِحِفْظِهَا
وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهَا وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهَا، وَأَنْ نَتَعَاوَنَ عَلَى الْبِرِّ
وَالْتَّقْوَى، وَأَنْ نَتَوَاصَى بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا، وَالْأَمْرَ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ نُسَلِّمَ أَمْرَنَا لِلَّهِ
كَمَا أَمَرَ اللَّهُ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١) فَالنُّصْحُ بِالْأُسْلُوبِ
الْحَسَنِ وَالْكِفَايَةِ الْمُفِيدَةِ وَالْمُشَافَهَةِ الْمُفِيدَةِ، وَلَيْسَ
مِنَ النُّصْحِ التَّشْهِيرُ بِعُيُوبِ النَّاسِ وَانْتِقَادِ الدُّوَلَةِ، لَكِنَّ
النُّصْحَ أَنْ تَسْعَى بِكُلِّ مَا يُزِيلُ الشَّرَّ وَيُثَبِّتُ الْخَيْرَ
بِالطَّرِيقِ الْحَكِيمَةِ، وَبِالطَّرِيقِ الَّتِي يَرْضَاهَا اللَّهُ - عَزَّ
وَجَلَّ - وَنَحْنُ فِي نِعَمٍ عَظِيمَةٍ: نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَنِعْمَةِ
الصُّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، ثُمَّ النُّعْمَةُ الْكُبْرَى الَّتِي مَنَّ اللَّهُ بِهَا
عَلَيْنَا فِي الْحَادِثَةِ الْكُبْرَى حَادِثَةِ الْخَلِيجِ بَعْدَ عُدْوَانِ
عَدُوِّ اللَّهِ صَدَّامَ وَجُنْدِهِ وَاجْتِيَاحِهِ لِبَلَدِ الْكُوَيْتِ، ثُمَّ
يَسَّرَ اللَّهُ لِلدُّوَلَةِ أَنْ قَامَتْ بِدَوْرِهَا فِي هَذَا الْأَمْرِ،

وَقَامَتِ الْقِيَامُ الْعَظِيمُ لِرَفْعِ هَذَا الظُّلْمِ وَأَسْتَعَانَتْ بِاللَّهِ
الْعَظِيمِ، ثُمَّ بِالْجَنَسِيَّاتِ الْمُشْتَرَكَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ الَّتِي
سَاعَدَتْ فِي رَفْعِ هَذَا الظُّلْمِ^(١).



(١) جَرِيدَةُ الْمَدِينَةِ - السَّبْتُ ٢٨ رَجَبٍ ١٤١٢ هـ.

أَدَبُ الْخِلَافِ

وَلَقَدْ أَحْسَنَ وَأَجَادَ وَأَفَادَ فَضِيلَةُ الدُّكْتُورِ الشَّيْخِ
صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُمَيْدٍ إِمَامٍ وَخَطِيبٍ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ الْمَعْرُوفُ بِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ وَاتِّزَانِهِ وَإِثْقَانِهِ، لَقَدْ
أَحْسَنَ فِيمَا قَالَ وَكَتَبَ عَنْ أَدَبِ الْخِلَافِ فِي هَذَا
الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ الَّذِي تَدْعُو إِلَى مِثْلِهِ الْحَاجَةُ بِالْحَاحِ
شَدِيدٍ، فَوَضَعَ النُّقَاطَ عَلَى الْحُرُوفِ، وَأَتَى بِالْمُتَّفِقِ
عَلَيْهِ بَيْنَ الْجَمِيعِ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَأَظَنُّ أَنَّهُ لَوْ التَزَمَ
أَصْحَابُ الْخِلَافِ بِمَا قَالَهُ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي
رِسَالَتِهِ الْقِيَمَةِ هَذِهِ لَمَا ظَهَرَ مَا ظَهَرَ، وَلَمَا حَصَلَ مَا
حَصَلَ، مِنَ الْفُرْقَةِ وَالْعِدَاءِ وَالسَّبِّ وَالشُّتْمِ وَالرَّدِّ
وَالْمَرْدُودِ.

يَقُولُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ صَالِحٍ فِي كِتَابِهِ:

«يُجِبُ الْجَدُّ فِي السَّغَى مِنْ أَجْلِ إِخْيَاءِ الْأُخُوَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَقَّةِ لِتَلْتَقِيَ الْأُمَّةُ بِفِتَاتِهَا وَجَمَاعَاتِهَا عَلَى

نُضْرَةٌ دِينَ اللَّهِ حُبًّا فِيهِ وَوَلَاءٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ أَنْتِمَاءٌ
يَسْتَعْلَى عَلَى كُلِّ أَنْتِمَاءٍ، وَالْخِطَابُ فِي هَذَا اللَّقَاءِ أَثِيهَا
الْإِخْوَةُ.. مُوَجَّهَةٌ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِكْرِ.. عُلَمَاءُ
وَطَلَبَةُ عِلْمٍ.. تُطْرَحُ الْقَضَايَا وَالْمَسَائِلُ عَلَى بَسَاطٍ
الْبَحْثِ، وَيُبْذَلُ الْجُهْدُ فِي تَمْيِيزِ الصُّوَابِ مِنَ الْخَطَا،
يَحْتَرَمُ رَأْيَ كُلِّ مُجْتَهِدٍ سَوَاءٌ كَانَ مُخْطِئًا أَوْ مُصِيبًا،
وَالْتَّحَامُلُ عَلَى الْمُجْتَهِدِ أَوْ تَجْرِيحُهُ مَسْلُوكٌ فِي الْعِلْمِ
مَنْكُورٌ، وَخَطْوُهُ لَا يُبِيحُ النَّيْلَ مِنْ عِرْضِهِ، وَلَا يُسَوِّغُ
تَلَمُّسَ الْمَعَائِبِ لِلْبُرَاءِ وَالْتِّشَهُيَ بِإِلْصَاقِ التُّهَمِ
بِالنَّاسِ.

إِنَّ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدَّعْوَةَ أَنْ يَسْتَبِينُوا قِيَمَةَ مَا
يَدْعُونَ إِلَيْهِ، فَلَيْسَ الْحَقُّ حِكْرًا عَلَى مَسْلُوكٍ،
وَالْخِلَافُ فِي الرَّأْيِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا لِحَاجَةٍ أَوْ
غَضَبٍ، إِنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُجْتَهِدِينَ أَنْ يَخْتَلِفُوا، وَنَتَائِجُ
هَذَا الْاِخْتِلَافِ مَقْبُولَةٌ مِنْ غَيْرِ تَشْنِيعٍ وَلَا تَعْصَبٍ، وَمِنْ
غَيْرِ أَنْ يَنْبَنِيَ عَلَى هَذَا شِقَاقٌ، أَوْ تَتَنَامَى بِسَبَبِهِ
أَخْقَادٌ، إِنَّ حَقَّ النِّقْدِ لَا يَجْعَلُ الْحَقَّ حِكْرًا عَلَى

النَّاقِدِ .

مِنَ الْمُؤَسَفِ وَمِنَ الْقُصُورِ أَنْ يَتَحَوَّلَ الْخِلَافُ فِي
وَجْهَاتِ النَّظَرِ إِلَى عِنَادِ شَخْصِيٍّ وَانْتِصَارِ ذَاتِيٍّ إِلَى عَدَاءِ
مَاحِقٍ ، وَمِنَ الْمُبْكِيِّ أَنْ يَبْدَأَ الْخِلَافُ فِي فَرْعِيَّةٍ صَغِيرَةٍ
فَيَرْقَى إِلَى الْإِتِّهَامِ فِي أَصُولِ الْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدِ الدِّيَانَةِ .

إِنَّ سُوءَ الْأَدَبِ فِي الْجَدَلِ وَالْمُنَاطَرَةِ يُسَوِّغُ
لِأَصْحَابِهِ اسْتِخْلَالَ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا سِيَّما
الْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةَ ، فَيَتَحَوَّلُ الْإِهْتِمَامُ إِلَى تَتَبُعِ الزَّلَّاتِ
وَتَلَمُّسِ الْعَثَرَاتِ ، فَيَتَّبِعُ كَثِيرٌ مِنَ الظَّنِّ مِنْ أَجْلِ أَنْ
قَلِيلُهُ كَانَ صَوَابًا .

إِنَّ الدَّاعِيَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي
هَذَا اللَّقَاءِ الطَّيِّبِ - أَنْ رِجَالًا أَفْذَاذًا وَعُلَمَاءَ أَجَلَاءَ
خَدَمُوا هَذَا الدِّينَ ، وَيَلْعَنُوا فِي الْعِلْمِ مَبْلَغًا جَاهِدُوا فِي
اللَّهِ وَكَافَحُوا مِنْ أَجْلِ دِينِهِ ذُكَاءً فِي الْعُقُولِ وَزَكَاةً فِي
النُّفُوسِ ، أَثَرُهُمْ فِي النَّاسِ ظَاهِرٌ وَقَدَمُ صِدْقِهِمْ فِي
نُصْرَةِ الْحَقِّ أَلَّا تَغْلُو فِيهِمْ ، فَتُبْرِزَ أخطاءُهُمْ وَنُعَادِي مَنْ

خَالَفَهُمْ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَسُوعُ أَنْ نَجْفُوهُمْ فَتَسْتَحِلُّ
 أَغْرَاضَهُمْ وَتَتَنَكَّرَ لِجَلِيلِ أَعْمَالِهِمْ وَتَزْدَرِي جُهُودَهُمْ،
 فَكُلُّ عَالِمٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، وَفَرْقٌ بَيْنَ نَقْدِ عَالِمٍ
 مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ لَهُ بَاعٌ فِي الْعِلْمِ وَالِدَّعْوَةِ وَآثَرٌ
 حَسَنٌ عَلَى الْأُمَّةِ، وَبَيْنَ الرَّدِّ عَلَى مُلْحِدٍ مُتَجَنِّدٍ أَوْ كَافِرٍ
 مُغَرِّضٍ أَوْ مُسْتَشْرِقٍ حَاقِدٍ.

مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ وَهَذِهِ النُّظْرَةُ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ -
 تَكُونُ بِدَايَاتِ هَذَا الْحَدِيثِ، حَيْثُ نُبَيِّنُ الْخِلَافَ
 وَأَنْوَاعَهُ وَوُقُوعَهُ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، ثُمَّ نُشِيرُ إِلَى نَمَازِجَ
 مِنْ أَدَبِ الصُّحَابَةِ وَالسَّلَفِ، وَتَخْلُصُ إِلَى بَعْضِ الْأَدَابِ
 فِي هَذَا الْبَابِ^(١). اهـ.

(١) «أَدَبُ الْخِلَافِ» لِلشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُمَيْدٍ

خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ بِتَأْيِيدِ الْمَوْقِفِ

وَفِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ بِتَارِيخِ ٢٨ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤١٢ هـ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، تَكَلَّمَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ حَمِيدٍ فِي نَفْسِ الْمَوْضُوعِ، مُؤَكِّدًا تَحْذِيرَهُ مِنْ الْخِلَافِ وَالشُّقَاقِ، وَمُحَذِّرًا مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْهَوْجَاءِ فَقَالَ:

«أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ! عَقِيدَةُ التَّوْحِيدِ تَجْمَعُنَا وَدَارُ السَّلَامِ تُؤْوِينَا، وَلَكِنْ مِنَ الْمُخْزِنِ أَنْ يُحَسَّ الْمُسْلِمُ الْغَيُورُ بِغَارَاتِ شَغَوَائِيَّةٍ يَشْنُهَا خُصُومُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلِأَمَّةِ الْإِسْلَامِ خُصُومٌ مِنَ الدَّاخلِ وَالْخَارِجِ، أَغْرَاضُ مُتَبَايِنَةٌ وَأَهْوَاءُ كَامِنَةٌ وَرَاءَ اتِّسَاعِ هَذِهِ الْهَجَمَاتِ، وَإِلْحَاحُ مَقِيَّتٍ مِنْ مُسَعِّرِيهَا مَعَ كَثْرَةِ الدُّخَلَاءِ وَفُشُو سُوقِ النِّفَاقِ.

إِخْوَةُ الْعَقِيدَةِ وَطُلَّابُ الْحَقِيقَةِ، عَلَى حِسَابِ مَنْ تُسْتَثَارُ الْمَشَاعِرُ الْمَشْبُوهَةُ؟ إِنَّ أَصْحَابَ الْأَغْرَاضِ

وَالْأَهْوَاءِ لَا يَجِدُونَ مُتَنَفِّسًا لِمَا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا بِتَتَبُعِ
 الْهَفَوَاتِ وَاسْتِغْلَالِ الزَّلَّاتِ وَتَلْفِيقِ الْإِتِّهَامَاتِ، إِنَّ
 الْهَوَى مَا خَالَطَ شَيْئًا إِلَّا أَفْسَدَهُ، وَبِالْهَوَى يَخْرُجُ الْعَالَمُ
 مِنَ السُّنَّةِ إِلَى الْبِدْعَةِ، وَبِالْهَوَى يَقَعُ الزَّاهِدُ الْمُتَزَهِّدُ
 فِي الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَبِالْهَوَى يَقَعُ الْحَاكِمُ وَالْمَسْئُولُ
 فِي الظُّلْمِ وَيَبْتَغِدُ عَنِ الْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ، وَإِذَا زَادَ الْهَوَى
 وَاخْتَلَفَتِ النِّيَّاتُ، تَوَلَّدَتِ الْجُرَازَةُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى
 النَّاسِ، وَفَشَتِ الطُّعُونُ وَالْمَكَايِدُ، وَنُصِبَتِ حَبَائِلُ
 الْمَكْرِ وَشِبَاكُ الْخَدِيعَةِ، وَمِنْ ثَمَّ تَخْصُلُ الْفُرْقَةُ
 وَالشُّحْنَاءُ، وَيَتِمَكَّنُ الْأَعْدَاءُ وَيَذُلُّ أَهْلُ الْإِسْلَامِ.

إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ يُرِيدُونَ فِي الْأُمَّةِ اخْتِلَافًا وَتَنَافُرًا
 وَتَنَابُذًا وَتَنَابُزًا، يُرِيدُونَ مِنْهَا أَنْ تَذِلَّ بَعْدَ عِزِّهَا،
 وَتَنْحَطَّ بَعْدَ رِفْعَتِهَا، يُرِيدُونَ مِنْهَا أَنْ تَتَفَرَّقَ فِي دِينِهَا
 شِيعًا وَمَذَاهِبَ وَأَحْزَابًا.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْإِخْتِلَافَ فِي وَجْهَاتِ النَّظَرِ بِذَاتِهِ لَا
 يُشِيرُ نِزَاعًا وَلَا يُوَلِّدُ تَنَافُرًا، وَلَكِنَّ صَاحِبَ الْهَوَى
 وَالْمُعْجَبَ بِنَفْسِهِ يَجْعَلُ الْحَقَّ فِي كِفَّةٍ وَنَفْسَهُ

الْمَخْذُولَةَ فِي كِفَّةٍ، إِنَّ الْخِلَافَ الْعِلْمِيَّ لَا يُثِيرُ حَفَائِظَ
النُّفُوسِ وَمَكْنُونَاتِ الصُّدُورِ إِلَّا عِنْدَ مَنْ قَلَّ فِي دِينِ
اللَّهِ فَقْهُهُ، وَضَعُفَتْ تَرْبِيَّتُهُ وَسَاءَ قَصْدُهُ وَنِيَّتُهُ، أَمَّا
الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ وَالِدُّعَاءُ الصَّادِقُونَ وَالْكِتَابُ
الْمُخْلِصُونَ، فَأُولَئِكَ عَنْ هَذَا مُبْعَدُونَ.

ذَلِكُمْ أَتِيهَا الْإِخْوَةُ لِأَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْبَشَرِ أَنْ يَخْتَلِفُوا
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١١٨)
إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿ (١) 》.

الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالِدُّعَاءُ لَيْسُوا بِدُعَا مِنْ الْبَشَرِ،
وَلَيْسُوا بِخَارِجِينَ عَنْ هَذِهِ السُّنَّةِ، فَالْأَنْظَارُ مُتَفَاوِتَةٌ
وَالْأَدِلَّةُ مُخْتَلِفَةٌ وَالْإِسْتِنَاجُ مُتَبَايِنٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ خِلَافٌ
سَائِغٌ وَوُجْهَاتُ نَظَرٍ مُحْتَرَمَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ أَهْلِ
الْإِجْتِهَادِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْ عِلَامَاتِ الرُّجُوعِ وَدَلَالَاتِ الْكَمَالِ
أَنَّكَ حِينَ تُخَالِفُ أَمْرًا فِي تَفْكِيرِهِ أَوْ تُعَارِضُهُ فِي

وَجِهَاتِ نَظَرِهِ، لَا يَنْطَوِي فُؤَادُكَ عَلَى كُرْهِهِ، أَوْ يَمْتَلِئُ صَدْرُكَ بِالْغَيْظِ مِنْهُ وَيَنْطَلِقُ لِسَانُكَ بِتَجْرِيحِهِ وَاتِّهَامِهِ، إِنَّ مِنَ الْمَعَاصِي أَنْ تَرَى كَاتِبًا مُغْرِضًا أَوْ قَارِئًا سَيِّئًا أَوْ مُسْتَمِعًا مُتَجَنِّيًا يُطَالِعُ فِي سِرِّ الرُّجَالِ، وَيَقْرَأُ فِي كُتُبِهِمْ وَيَسْتَمِعُ إِلَى تَسْجِيْلَاتِهِمْ، فَلَا يَسْتَوْقِفُهُ إِلَّا مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ هَنَاتٍ، أَوْ يَزْلُونَ فِيهِ مِنْ أَخْطَاءٍ، أَمَا مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَحَامِدَ، وَمَا قَدَّمُوا لِلنَّاسِ مِنْ حَقٍّ وَخَيْرٍ، فَلَا يَأْبَهُونَ بِهِ وَلَا يَذْكُرُونَهُ، إِنَّهُمْ كَجِيرَانِ السُّوءِ، إِذَا رَأَوْا خَيْرًا دَفَنُوهُ، وَإِذَا رَأَوْا شَرًّا طَارُوا بِهِ وَأَذَاعُوهُ، وَإِنَّ التِّمَاسَ الْأَخْطَاءِ وَتَحْرِيفَ الْكَلِمِ وَتَأْوِيلَ النُّصُوصِ مِنْ أَجْلِ التَّشْهِيرِ وَالتَّنْقِيصِ، لَا يُقِيمُ عَوَاجِزًا وَلَا يَرْفَعُ خَسِيسَةً، وَيَبَالِغُ نَعُودُ وَإِلَيْهِ نَلْتَجِي مِنْ أَقْوَامِ رَائِدُهُمُ الْهَوَى وَقَائِدُهُمُ الشَّيْطَانُ، وَحَاكِمُهُمُ التَّعَصُّبُ وَمَرْكَبُهُمُ التَّجَنُّي، وَيَبَالِغُ نَسْتَعِيْثُ مِنْ فِتْنَةٍ تَتَلَمَّسُ الْعَيْبَ لِلْبُرَاءِ وَالْخَطَأَ لِلْمُصِيبِينَ وَالذَّنْبَ لِمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْحَقَّ وَرَجُلَ الدَّعْوَةِ الصَّدَقِ، هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ وَيَثْبُتُ عِنْدَ هَذِهِ

الْمُنْعَطَفَاتِ، يَمْلِكُ زِمَامَ لِسَانِهِ وَفِكْرِهِ وَقَلَمِهِ مِنْ أَنْ
يَفْلِتَ بِسَبَبِ كَلِمَةٍ طَائِشَةٍ أَوْ وَشَايَةٍ حَاقِدَةٍ.

(انْتَهَى مِنْ تَسْجِيلِ الْخُطْبَةِ).

الْمَمْلَكَةُ لَيْسَتْ مَصْدَرًا لِلتَّكْفِيرِ

أَوْ الْهُجُومِ وَالتَّجْرِيعِ

وَيُعْرَفُ بِمَا سَبَقَ مِنَ الْأَقْوَالِ لِكِبَارِ عُلَمَاءِ الْمَمْلَكَةِ
الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ وَبِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ مَنْهَجِ وُلَاةِ
الْأُمُورِ وَسِيَاسَتِهِمْ الْحَكِيمَةِ الرَّشِيدَةِ وَتَضَرِّيحَاتِهِمْ،
وَأَقْوَالِهِمْ وَطَرِيقَتِهِمْ الْوَاضِحَةِ الْبَيِّنَةِ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ
الْأُمَّةِ مِنْ جَمِيعِ أَجْناسِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الْوَافِدِينَ إِلَى
الْحَرَمَيْنِ لِلْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْجَوَارِ، أَوْ إِلَى عَامَّةِ أَطْرَافِ
الْمَمْلَكَةِ لِلْإِقَامَةِ وَالتَّعَلُّمِ وَالْعَمَلِ وَالتَّجَارَةِ، وَفِيهِمْ
أَزْيَابُ الْمَذَاهِبِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمَشَارِبِ الْمُتَنَوِّعَةِ،
وَالْأَفْكَارِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْمَنْسُوبُونَ لِلْإِسْلَامِ تَحْتَ لَوَاءِ (لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ).

وَالْمَمْلَكَةُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - تَسْتَقْبِلُهُمْ بِصَدْرِ
رَحْبٍ، وَتُوفِّرُ لَهُمْ كُلَّ أَمْنٍ وَأَمَانٍ وَرَاحَةٍ وَأَطْمِئْنَانٍ،
وَتَحْفَظُ لَهُمْ حُقُوقَهُمْ الْمَشْرُوعَةَ لَهُمْ وَتَدْعُوهُمْ إِلَى

الْخَيْرِ وَإِلَى التَّزَامِ مِنْهُجِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، مِنْهُجِ أَهْلِ
السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْبُعْدِ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَشَرٍّ وَفِتْنَةٍ وَبِدْعَةٍ
وَضَلَالَةٍ. وَذَلِكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِوَسَائِلِهِ الْمَعْلُومَةِ
وَطُرُقِهِ الْمَرْسُومَةِ الَّتِي تُنَاسِبُ كُلَّ أَمْرٍ وَكُلَّ مَأْمُورٍ
بِحَسَبِ دَرَجَتِهِ وَرُتْبَتِهِ وَحَالَتِهِ.

وَكُلُّهُمْ يَعْلَمُونَ الْعِلْمَ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ بِأَنَّ
الْمَمْلَكَةَ الْعَرَبِيَّةَ السُّعُودِيَّةَ هِيَ دَوْلَةُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ،
وَهِيَ دَوْلَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهِيَ
دَوْلَةُ الْعَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ الَّتِي قَامَتْ بِهَا وَعَلَيْهَا وَلَا تَزَالُ
بِفَضْلِ اللَّهِ كَذَلِكَ.

وَلَكِنْ بَعْضُ الْمُرْتَزِقَةِ يَسْتَغِلُّ هَذَا الْجَوْ فَيَأْتِي إِلَى
بِلَادِنَا هَذِهِ لِيَتَعَلَّمَ وَيَذَرُسَ وَإِذَا بِهِ يَنْقُلُ إِلَيْنَا هُمُومَهُ
وَعُمُومَهُ، وَمُشْكَلاتِهِ وَظُلُمَاتِهِ وَمَا يَدُورُ فِي بِلَادِهِ مِنْ
فِتَنِ وَخِلَافَاتٍ، ثُمَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ بَعْضُ إِخْوَانِنَا فِي
الْجَامِعَاتِ السُّعُودِيَّةِ غَفْلَةً مِنْهُ (وَهِيَ غَفْلَةُ الصَّالِحِينَ)
وَأَسْتِغْفَالًا مِنْ ذَلِكَ الْمُرْتَزِقِ الْوَافِدِ الْغَرِيبِ..

أَقُولُ : يَسْتَجِيبُ لَهُ بَعْضُ إِخْوَانِنَا الْكَرَامِ فِي بَعْضِ
الْجَامِعَاتِ ، فَيَفْتَحُ لَهُ الْبَابَ وَيَخْتَصُّهُ فِي بَحْثِهِ أَوْ
مَقَالَاتِهِ أَوْ رِسَالَتِهِ الْجَامِعِيَّةِ الَّتِي يَنَالُ بِهَا أَعْلَى
الدَّرَجَاتِ ، وَأَعْظَمَ الْمَرَاتِبِ وَالْأَوْسَمَةَ بِكِتَابٍ يَهْجُمُ
فِيهِ عَلَى قَوْمِهِ ، وَيَفْتَحُ النَّارَ عَلَى أَهْلِ مَذْهَبِهِ مِمَّنْ هُوَ
مِنْهُمْ ، وَقَدْ كَانَ مَعَهُمْ .

فَهَذَا إِفْرِيقِيٌّ مَثَلًا يَتَّخِذُ بِلَادَنَا وَجَامِعَاتِنَا مَصْدَرًا
لِيَفْتَحَ نَارَ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ عَلَى جَمَاعَتِهِ الْأَفَارِقَةِ ،
وَمِثْلُهُ مَغْرِبِيٌّ أَوْ شِنْقِيطِيٌّ أَوْ سُودَانِيٌّ أَوْ أَفْغَانِيٌّ ...
إِلَخ .

وَهَذَا أَشْعَرِيٌّ أَوْ مَاتَرِيدِيٌّ يُلْجَأُ إِلَيْنَا ، وَإِذَا بِهِ يَخْرُجُ
عَلَى الْأُمَّةِ بِصُكُوكِ التَّكْفِيرِ لِلْأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتَرِيدِيَّةِ
عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ ، وَفِيهِمْ كِبَارُ رِجَالِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ
مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ أَمْثَالُ النَّوَوِيِّ وَأَبْنِ حَجَرٍ .

وَهَذَا حَنْفِيٌّ (هِنْدِيٌّ أَوْ أَفْغَانِيٌّ) وَهَذَا مَالِكِيٌّ
(مَغْرِبِيٌّ أَوْ شِنْقِيطِيٌّ) وَهَذَا شَافِعِيٌّ (يَمَانِيٌّ أَوْ مِصْرِيٌّ)

مِمَّنِ اخْتَضَسَتْهُمْ بِلَادُنَا وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ جَامِعَاتُنَا وَأَنْفَقَتْ عَلَيْهِمْ دَوْلَتُنَا الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ، نَرَاهُمْ يَخْرُجُونَ عَلَيْنَا وَعَلَى الْأُمَّةِ بِرَسَائِلِ جَامِعِيَّةٍ يَخْلَعُونَ فِيهَا الْقَابَ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ وَالتَّفْسِيقِ وَالتَّبْدِيعِ لِعُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَتِهَا مِنَ الْحَنْفِيَّةِ أَوْ الْمَالِكِيَّةِ أَوْ الشَّافِعِيَّةِ أَوْ الْحَنَابِلَةِ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ بِلَادِهِمْ وَمِنْ جَمَاعَتِهِمْ.

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ (هَذَا الْمُؤَلَّفُ الْمُرتَزَقُ الْوَافِدُ الدَّخِيلُ) مِنْهُمْ، بَلْ وَمِنْ الْعَنَاصِرِ الْأَصِيلَةِ فِيهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِيَنَالَ عِنْدَنَا مَقَامًا كَرِيمًا وَيَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا وَيَتَحَصَّلَ عَلَى الشَّهَادَةِ السَّامِيَّةِ وَالدرَجَةِ الْعَالِيَةِ مُتَقَرِّبًا وَمُتَزَلِّفًا مُسْتَغَلًّا سَاحَتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ وَعَقِيدَتَنَا السَّلَفِيَّةَ، وَتَشْجِيعَ دَوْلَتِنَا لِلْعُلَمَاءِ وَتَرْحِيْبِهَا بِطُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْبَاحِثِينَ وَاسْتِقْبَالِهَا لِلْأَجِيْنِ وَاللَّائِذِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ بِلَادِهِمْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا وَهَدْدُوا فِي دِيَارِهِمْ وَهُمْ بَيْنَ أَهْلِيهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَعْدَ اللَّهِ إِلَّا هَذَا الْبَلَدُ الْمِضْيَافُ، وَهَذِهِ السَّاحَةُ الْمُشْرِفَةُ الْمُكْرَمَةُ الْمُطَهَّرَةُ الْعَزِيْزَةُ الْمَحْفُوظَةُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَلَنْ تَكُونَ أَبَدًا مَرْكَزًا

لِلهُجُومِ وَالتَّجْرِيعِ أَوْ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ وَالتَّبْدِيعِ
وَالْتَفْسِيقِ، وَلَيْسَتْ مِنْبَرًا يَتَكَلَّمُ مِنْهُ أَرْيَابُ الْمَصَالِحِ
الْخَاصَّةِ وَالْمَنَافِعِ الشَّخْصِيَّةِ لِتَحْقِيقِ أَغْرَاضِهِمُ الدُّنْيَا
مِنْ بَابِ سَبِّ وَشْتَمِ أَصْحَابِهِمْ وَأَهْلِ بِلَادِهِمْ وَجَمَاعَةِ
مَذْهَبِهِمْ بِدَعْوَى مَحَبَّةِ السَّلَفِيَّةِ وَالْإِنْتِصَارِ لَهَا وَالْجِهَادِ
مِنْ أَجْلِهَا!!! سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

وَلَنَخْتِمَ هَذَا الْمَبْحَثَ بِخُلَاصَةِ مُحَاضَرَةِ فَضِيلَةِ
الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ بْنِ عَثِيمٍ الَّتِي أَلْقَاهَا فِي
الْقَصِيمِ:

كَتَبَ مُحَمَّدُ الطَّوَيَّانُ مِنْ بُرَيْدَةَ:

أَوْصَى فَضِيلَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعَثِيمِ
طُلَّابَ كُلِّتَي الشَّرِيعَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ وَالْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ
وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ بِالْقَصِيمِ بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي
طَلَبِ الْعِلْمِ وَجَعَلِهِ خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاحْتِرَامِ
وَتَقْدِيرِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَسَاتِذَةِ، وَالْأَخْذِ مِنْ عِلْمِهِمْ
وَالنَّاسِ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَحِرْصِهِمْ عَلَى اتِّبَاعِ هَذِي

الرَّسُولِ ﷺ فِي جَمِيعِ الْعَقِيدَةِ، وَأَنْ يَكُونَ تَصَرُّفُهُمُ
الدَّعْوَى وَالْمَنْهَجِيَّ قَائِمًا عَلَى الْحِكْمَةِ وَالنَّظَرِ إِلَى
الْعَوَاقِبِ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِإِكْمَالِ الْغَايَةِ لَا بِالْإِبْتِدَاءِ .

جَاءَ ذَلِكَ فِي الْمُحَاضَرَةِ الَّتِي أَلْقَاهَا فَضِيلَتُهُ عَلَى
الطُّلَّابِ صَبَاحَ الْإِثْنَيْنِ، حَذَّرَهُمْ فِيهَا مِنَ الْإِنْجِرَافِ وَرَاءَ
الْثِّيَارَاتِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي تُخَالِفُ الشَّرْعَ الْحَنِيفَ .

وَفِي نَهَايَةِ الْلُقَاءِ أَجَابَ فَضِيلَتُهُ عَلَى تَسَاؤُلَاتِ
وَأَسْتِيفَسَارَاتِ الطُّلَّابِ حَيْثُ دَارَ التَّسَاؤُلُ حَوْلَ التَّكْفِيرِ
وَالْتَّحَزُّبِ الدِّينِيِّ، فَحَذَّرَ فَضِيلَتُهُ الطُّلَّابَ وَكُلَّ مُسْلِمٍ
مِنَ الْوُقُوعِ فِي هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ، وَهُوَ التَّكْفِيرُ. وَذَكَرَ
بَعْضَ الْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُوَضِّحًا أَنَّ مَنْ حَكَّمَ
عَلَى إِنْسَانٍ بِالْكَفْرِ وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَيَكُونُ هُوَ
الْكَافِرُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

وَشَدَّدَ عَلَى النَّهْيِ مِنْ تَكْفِيرِ الْحُكَّامِ وَالْعُلَمَاءِ، لِأَنَّ
التَّعَدَّى عَلَى هَؤُلَاءِ بِمِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ يَعُودُ ضَرَرُهُ عَلَى
الْأُمَّةِ بِكَامِلِهَا. وَذَلِكَ لِعِظَمِ مَا يَحْمِلُونَهُ مِنَ الْعِلْمِ

بِالنُّسْبَةِ لِلْعُلَمَاءِ، وَلِأَهَمِّيَّةِ مَا يَقُومُ بِهِ الْحُكَّامُ مِنْ
تَنْفِيدِ لِأَحْكَامِ اللَّهِ وَالْقِيَامِ عَلَى شَرْعِهِ .

وَبِالنُّسْبَةِ لِلتَّحَرُّبِ، فَقَدْ ذَكَرَ فَضِيلَتُهُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ
مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يُخَالِفُ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ
الْقَاطِعَةَ الَّتِي تَنْصُ عَلَى الْأَجْتِمَاعِ وَالْإِتِّفَاقِ، وَأَنَّ
الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ هُوَ سُلُوكُ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ
وَالْجَمَاعَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ بِدُونِ غُلُوٍّ وَلَا تَفْرِيطٍ^(١) .



(١) اِنْتَهَى . مِنْ جَرِيدَةِ عُكَاظٍ . الْعَدَدِ ١٠٨٤٧ ، الثَّلَاثَاءُ ٤

مُحَرَّمِ ١٤١٧ هـ الْمُوَافِقَ ٢١ مَآيُو ١٩٩٦ م .

مِيزَانُ الْإِيمَانِ

يُخْطِئُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ - أَضْلَحَهُمُ اللَّهُ - فِي فَهْمِ حَقِيقَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُخْرِجُ صَاحِبَهَا عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ وَتُوجِبُ عَلَيْهِ الْحُكْمَ بِالْكُفْرِ، فَتَرَاهُمْ يُسَارِعُونَ إِلَى الْحُكْمِ عَلَى الْمُسْلِمِ بِالْكُفْرِ لِمُجَرَّدِ الْمُخَالَفَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَنَحْنُ نَتَلَمَّسُ لِهَؤُلَاءِ الْعُذْرَ تَخْسِينًا لِلظَّنِّ، وَنَقُولُ: لَعَلَّ نِيَّتَهُمْ حَسَنَةٌ مِنْ دَافِعٍ وَاجِبٍ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَكِنْ فَاتَهُمْ أَنَّ وَاجِبَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا بُدَّ فِي أَدَائِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَإِذَا اقْتَضَى الْأَمْرُ الْمُجَادَلَةَ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .. وَذَلِكَ أَدْعَى إِلَى الْقَبُولِ، وَأَقْرَبُ لِلْحُصُولِ عَلَى الْمَأْمُولِ، وَمُخَالَفَتُهُ خَطَأٌ وَحِمَاقَةٌ.

فَإِذَا دَعَوْتَ مُسْلِمًا يُصَلِّي، وَيُؤَدِّي فَرَائِضَ اللَّهِ،

وَيَجْتَنِبُ مَحَارِمَهُ، وَيَنْشُرُ دَعْوَتَهُ، وَيُشِيدُ مَسَاجِدَهُ، وَيُقِيمُ مَعَاهِدَهُ، إِلَى أَمْرِ تَرَاهُ حَقًّا وَيَرَاهُ هُوَ عَلَى خِلَافِكَ وَالرَّأْيُ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مُخْتَلِفٌ قَدِيمًا إِقْرَارًا وَإِنْكَارًا فَلَمْ يُطَاوِعْكَ فِي رَأْيِكَ فَرَمَيْتَهُ بِالتَّكْفِيرِ لِمُجَرَّدِ مُخَالَفَتِهِ لِرَأْيِكَ فَقَدْ قَارَفْتَ عَظِيمَةَ نَكْرَاءٍ، وَأَتَيْتَ أَمْرًا إِذَا نَهَاكَ عَنْهُ اللَّهُ وَدَعَاكَ إِلَى الْإِخْذِ فِيهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْحُسْنَى.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ الْإِمَامُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ مَشْهُورِ الْحَدَّادُ: «وَقَدْ أَنْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى مَنْعِ تَكْفِيرِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، إِلَّا بِمَا فِيهِ نَفْيُ الصَّانِعِ الْقَادِرِ جَلَّ وَعَلَا، أَوْ شِرْكُ جَلِيِّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، أَوْ إِنْكَارُ النُّبُوَّةِ، أَوْ إِنْكَارُ مَا عَلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، أَوْ إِنْكَارُ مُتَوَاتِرٍ أَوْ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ ضَرُورَةً مِنَ الدِّينِ.

وَالْمَعْلُومُ مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةٌ كَالْتَوْحِيدِ وَالنُّبُوتِ وَخَتَمِ الرِّسَالَةِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالتَّبَعِثِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَكْفُرُ جَا حِدَهُ، وَلَا يُعْذَرُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْجَهْلِ بِهِ، إِلَّا مَنْ كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ يُعْذَرُ إِلَى أَنْ يَتَعَلَّمَهُ،

فَإِنَّهُ لَا يُعْذَرُ بَعْدَهُ .

وَالْمُتَوَاتِرُ : الْخَبَرُ الَّذِي يَرْوِيهِ جَمْعٌ يُؤْمَنُ تَوَاطُؤُهُمْ
عَلَى الْكَذِبِ عَنْ جَمْعٍ مِثْلِهِمْ ، إِمَّا مِنْ حَيْثُ الْإِسْنَادُ
كَحَدِيثٍ :

« مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وَإِمَّا مِنْ حَيْثُ الطَّبَقَةُ كَتَوَاتُرِ الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ تَوَاتُرٌ
عَلَى الْبَسِيطَةِ شَرْقًا وَغَرْبًا دَرْسًا وَتِلَاوَةً وَحِفْظًا ، وَتَلْقَاهُ
الْكَافَّةُ عَنِ الْكَافَةِ طَبَقَةً عَنْ طَبَقَةٍ ، فَلَا يَخْتَاجُ إِلَى
إِسْنَادٍ .

وَقَدْ يَكُونُ تَوَاتُرُ عَمَلٍ مُتَوَارِثٍ ، كَتَوَاتُرِ الْعِلْمِ عَلَى
شَيْءٍ مِنْ عَصْرِ النُّبُوَّةِ إِلَى الْآنَ ، أَوْ تَوَاتُرِ عِلْمٍ كَتَوَاتُرِ
الْمُعْجَزَاتِ ، فَإِنَّ مُفْرَدَاتِهَا وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا آحَادًا لَكِنَّ
الْقَدْرَ الْمَشْتَرَكَ مِنْهَا مُتَوَاتِرٌ قَطْعًا فِي عِلْمِ كُلِّ إِنْسَانٍ
مُسْلِمٍ .

وَإِنَّ الْحُكْمَ عَلَى الْمُسْلِمِ بِالْكُفْرِ فِي غَيْرِ هَذِهِ
الْمَوَاطِنِ الَّتِي بَيَّنَّاها أَمْرٌ خَطِيرٌ ، وَفِي الْحَدِيثِ « إِذَا قَالَ

الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»^(١).

وَلَا يَصِحُّ صُدُورُهُ إِلَّا مِمَّنْ عَرَفَ بِنُورِ الشَّرِيعَةِ
مَدَاخِلَ الْكُفْرِ وَمَخَارِجَهُ، وَالْحُدُودَ الْفَاصِلَةَ بَيْنَ الْكُفْرِ
وَالْإِيمَانِ فِي حُكْمِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَاءِ.

فَلَا يَجُوزُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ الرُّكُضُ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ
وَالْتَّكْفِيرُ بِالْأَوْهَامِ وَالْمَظَانِّ دُونَ تَثَبُّتِ وَيَقِينِ وَعِلْمِ
مَتِينٍ، وَإِلَّا اخْتَلَطَ سَبِيلُهَا بِالْأَبْطَحِ وَلَمْ يَبْقَ مُسْلِمٌ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا الْقَلِيلُ.

كَمَا لَا يَجُوزُ التَّكْفِيرُ بِإِزْتِكَابِ الْمَعَاصِي مَعَ
الْإِيمَانِ وَالْإِقْرَارِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَنَسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ
قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا نُكْفِرُهُ بِذَنْبٍ وَلَا نُخْرِجُهُ عَنْ
الْإِسْلَامِ بِالْعَمَلِ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ
يُقَاتَلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

عَادِلٍ ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ^(١) .

وَكَانَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ يَقُولُ : لَوْ قِيلَ لَنَا : فَضَّلُوا مَا يَقْتَضِي التَّكْفِيرَ مِنَ الْعِبَارَاتِ مِمَّا لَا يَقْتَضِي ، لَقُلْنَا : هَذَا طَمَعٌ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ ، فَإِنَّ هَذَا بَعِيدُ الْمَذَرِكِ وَعِرُّ الْمَسْلَكِ يُسْتَمَدُّ مِنْ أَصُولِ التَّوْحِيدِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْظَ بِنِهَايَاتِ الْحَقَائِقِ ، لَمْ يَتَحَصَّلْ مِنْ دَلَائِلِ التَّكْفِيرِ عَلَى وَثَائِقٍ :

لِذَلِكَ نُحَذِّرُ كُلَّ التَّحْذِيرِ مِنَ الْمُجَازِفَةِ بِالتَّكْفِيرِ فِي غَيْرِ الْمَوَاطِنِ السَّابِقِ بَيَانُهَا ، لِأَنَّهُ جَدُّ خَطِيرٍ ، وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ^(٢) . اهـ .



(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .


(٢) شَرْحُ أَسَاسِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لِلْإِمَامِ أَحْمَدِ الْمَشْهُورِ .

سَبَابُ الْمُسْلِمِ : فَسُوقٌ .. وَقِتَالُهُ : كُفْرٌ

أَعْلَمَ أَنَّ كَرَاهَةَ الْمُسْلِمِينَ وَمُقَاطَعَتَهُمْ وَمُدَابَرَتَهُمْ مُحَرَّمَةٌ، وَكَانَ سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقًا وَقِتَالُهُ كُفْرًا إِذَا اسْتُجِلَّ.

وَكَفَى رَادِعًا فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه فِي سَرِيَّتِهِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ تَلَقَّوهُ، فَقَالَ لَهُمْ: أَسْلِمُوا، فَقَالُوا: نَحْنُ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ، قَالَ: فَأَلْقُوا سِلَاحَكُمْ وَأَنْزِلُوا، قَالُوا: لَا وَاللَّهِ، مَا بَعْدَ وَضْعِ السُّلَاحِ إِلَّا الْقَتْلُ، مَا نَحْنُ بِأَمِينِينَ لَكَ وَلَا لِمَنْ مَعَكَ، قَالَ خَالِدٌ: فَلَا أَمَانَ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَنْزِلُوا، فَتَزَلَّتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ وَتَفَرَّقَتْ بَقِيَّةُ الْقَوْمِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: انْتَهَى خَالِدٌ إِلَى الْقَوْمِ فَتَلَقَّوهُ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ؟ أَيْ: أَمُسْلِمُونَ أَمْ كُفَّارٌ؟ قَالُوا: مُسْلِمُونَ، قَدْ صَلَّيْنَا وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَبَنَيْنَا الْمَسَاجِدَ فِي سَاحَتِنَا وَأَذْنًا فِيهَا.

وَفِي لَفْظٍ : لَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا : أَسْلَمْنَا ، فَقَالُوا :
 صَبَّأْنَا ، صَبَّأْنَا ، قَالَ : فَمَا بِالِ السَّلَاحِ عَلَيْكُمْ ؟ قَالُوا :
 إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ عَدَاوَةٌ ، فَخِفْنَا أَنْ تَكُونُوا
 هُمْ فَأَخَذْنَا السَّلَاحَ ، قَالَ فَضَعُوا السَّلَاحَ فَوَضَعُوا ،
 فَقَالَ ، اسْتَأْسِرُوا ، فَأَمَرَ بَعْضَهُمْ فَكَتَفَ بَعْضًا وَفَرَّقَهُمْ
 فِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ نَادَى مُنَادِي خَالِدٍ : مَنْ
 كَانَ مَعَهُ أَسِيرٌ فَلْيَقْتُلْهُ ، فَقَتَلَ بَنُو سُلَيْمٍ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ
 وَامْتَنَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ  ، وَأَرْسَلُوا أَشْرَاهُمْ .
 فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ مَا فَعَلَ خَالِدٌ ، قَالَ : «اللَّهُمَّ إِنِّي
 أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ» ، قَالَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ .

وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ خَالِدًا فَهِمَ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ
 الْأَنْفَةِ وَعَدَمِ الْإِنْقِيَادِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ ﷺ
 الْعَجَلَةَ وَعَدَمَ التَّثَبُّتِ فِي أَمْرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ الْمُرَادَ
 مِنْ قَوْلِهِمْ صَبَّأْنَا ، فَخَالِدٌ مَعْدُورٌ كَيْفَ وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ أَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ
 الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ
 وَالْمُنَافِقِينَ» .

وَكَذَلِكَ قِصَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ حِبِّ رَسُولِ اللَّهِ وَأَبْنِ حَبِّهِ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ، فَصَبَّخْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ عَنْهُ، وَطَعَنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ! أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «أَلَا شَقَقْتَ عَلَى قَلْبِهِ، فَتَعَلَّمَ أَصَادِقُ أَمْ كَاذِبٌ؟».

قَالَ أُسَامَةُ: لَا أَقَاتِلُ أَحَدًا يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَقَدْ سُئِلَ عَلِيُّ عليه السلام عَنِ الْمُخَالِفِينَ لَهُ مِنَ الْفِرَقِ أَكُفَّارٌ هُمْ؟ قَالَ: لَا، إِنَّهُمْ مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا. فَقِيلَ: أَمُنَافِقُونَ هُمْ؟ فَقَالَ: لَا، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ

إِلَّا قَلِيلًا ، وَهَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا ، فَقِيلَ : أَيُّ شَيْءٍ
هُم ؟ قَالَ : قَوْمٌ أَصَابَتْهُمْ الْفِتْنَةُ فَعَمُوا وَصَمُّوا .



أَقْوَالُ السَّلَفِ وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ

فِي التَّحْذِيرِ مِنَ التَّكْفِيرِ

رَوَى أَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ
جَابِرًا رضي الله عنه : هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ
مُشْرِكًا؟ قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ، فَفَزِعَ لِذَلِكَ . قَالَ : هَلْ كُنْتُمْ
تَدْعُونَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَافِرًا؟ قَالَ : لَا .

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى عَنْ يَزِيدَ الرِّقَاشِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِأَنْسِ بْنِ
مَالِكٍ : يَا أَبَا حَمْرَةَ؛ إِنَّ نَاسًا يَشْهَدُونَ عَلَيْنَا بِالتَّكْفِيرِ
وَالشُّرْكِ قَالَ : أَوْلَيْكَ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ ^(١) .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : إِنَّ الْإِيجَابَ وَالتَّحْرِيمَ وَالثُّوَابَ
وَالْعِقَابَ وَالتَّكْفِيرَ وَالتَّفْسِيقَ هُوَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ،
لَيْسَ لِأَحَدٍ فِي هَذَا حُكْمٌ، وَإِنَّمَا عَلَى النَّاسِ إِيجَابُ مَا
أَوْجَبَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَحْرِيمُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،

(١) مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ ١ : ١٠٧ .

وَتَصْدِيقُ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ^(١).

وَقَالَ الطَّحَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هُمْ أَهْلُ الْقِبْلَةِ : وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ لِأَنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ ، وَنُهِينَا عَنِ الظَّنِّ وَاتِّبَاعِ مَا لَيْسَ لَنَا بِهِ مِنْ عِلْمٍ^(٢).

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَمِيلَ الْمُحَصِّلُ إِلَيْهِ : الْإِخْتِرَازُ مِنَ التَّكْفِيرِ مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، فَإِنَّ اسْتِيبَاحَةَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ مِنَ الْمُصَلِّينَ إِلَى الْقِبْلَةِ الْمُصَرَّحِينَ بِقَوْلٍ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) خَطَأٌ ، وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ أَهْوَنُ مِنْ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ مِخْجَمَةٍ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ^(٣).

(١) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ٥ : ٥٥٤ .

(٢) الْعَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ ص ٤٢٧ .

(٣) الْأَقْتِصَادُ فِي الْأَعْتِقَادِ ص ١٥٧ .

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : الْكُفْرُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ خَالَفَ شَيْئًا عُلِمَ بِنَظَرِ الْعَقْلِ يَكُونُ كَافِرًا ، وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ جَحَدَ بَعْضَ صَرَائِحِ الْعُقُولِ ، لَمْ يُحْكَمْ بِكُفْرِهِ حَتَّى يَكُونَ قَوْلُهُ كُفْرًا فِي الشَّرِيعَةِ^(١) .

وَقَالَ أَبُو بَطِينٍ : وَبِالْجُمْلَةِ ؛ فَيَجِبُ عَلَى مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا بِعِلْمٍ وَيُرْهَانِ مِنَ اللَّهِ ، وَلِيَخْذَرَ مِنْ إِخْرَاجِ رَجُلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ لِمُجَرَّدِ فَهْمِهِ وَاسْتِخْسَانِ عَقْلِهِ ، فَإِنَّ إِخْرَاجَ رَجُلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ أَوْ إِدْخَالَهُ فِيهِ أَعْظَمُ أُمُورِ الدِّينِ ، وَقَدْ كُفِينَا بَيَانَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَغَيْرِهَا ، بَلْ حُكْمُهَا فِي الْجُمْلَةِ أَظْهَرُ أَحْكَامِ الدِّينِ ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا الْإِتِّبَاعُ وَتَرْكُ الْإِبْتِدَاعِ^(٢) .

فَاتَّضَحَ لَنَا مِمَّا سَبَقَ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَأَقْوَالِ الصُّحَابَةِ ، وَمَنْ سَارَ عَلَى طَرِيقِ السَّلَفِ مِنْ

(١) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ١٢ : ٥٢٥ .

(٢) رِسَالَةُ الْكُفْرِ الَّذِي يُعْذَرُ صَاحِبُهُ بِالْجَهْلِ وَحُكْمُ مَنْ يُكْفَرُ

غَيْرُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، لِأَبِي بَطِينٍ ص ٢١ .

الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، أَنَّ الْحُكْمَ عَلَى
 الْمُسْلِمِ بِالْخُرُوجِ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، أَوْ الدُّخُولِ فِي
 الْكُفْرِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ مُسْلِمٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ إِلَّا بِبُرْهَانٍ أَوْضَحَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ. وَحَتَّى مَنْ
 ثَبَتَ لَنَا كُفْرُهُ بِبُرْهَانٍ وَاضِحٍ، فَرَأَيْنَا مِنْهُ كُفْرًا بِوَاحٍ،
 فَإِنَّا نَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ مَعَ اخْتِيَاظٍ وَتَحَرُّزٍ فِي اللَّفْظِ،
 فَلَا نَتَعَدَّى الْإِطْلَاقَ الَّذِي أَطْلَقَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَلَا
 نَتَعَدَّى مِنْهَجَ السَّلَفِ فِي التَّكْفِيرِ، فَقَدْ كَانُوا يَغْرِضُونَ
 مَا ظَهَرَ مِنَ النَّاسِ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ
 وَجَدُوا فِيهِمَا إِطْلَاقَ الْكُفْرِ أَطْلَقُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَجِدُوا
 تَوَقَّفُوا وَحَكَمُوا عَلَى الْقَائِلِ أَوْ الْفَاعِلِ بِالْخَطَا وَالذَّنْبِ
 الْعَظِيمِ، ثُمَّ إِنَّهُ يُسْتَفْسَرُ هَذَا الْقَائِلُ أَوْ الْفَاعِلُ عَنْ
 مُرَادِهِ، فَإِنْ اتَّضَحَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْكُفْرَ حُكْمَ عَلَيْهِ بِهِ، وَإِلَّا
 اكْتَفَى بِإِطْلَاقِ الْخَطَا أَوْ الْمُخَالَفَةِ أَوْ الْفِسْقِ عَلَيْهِ دُونَ
 التَّكْفِيرِ الْإِعْتِقَادِيِّ^(١).

(١) أَنْظُرْ هَذِهِ النُّصُوصَ وَالْخُلَاصَةَ فِي رِسَالَةٍ: «ضَوَابِطُ
 التَّكْفِيرِ» لِلدُّكْتُورِ حَسَنِ الْعَوَاجِي، بِتَصَرُّفٍ.

مَقَامُ الْخَالِقِ . . وَمَقَامُ الْمَخْلُوقِ

إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ مَقَامِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ هُوَ الْحَدُّ
الْفَاصِلُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ خَلَطَ بَيْنَ
الْمَقَامَيْنِ فَقَدْ كَفَرَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - .

وَلِكُلِّ مَقَامٍ حُقُوقُهُ الْخَاصَّةُ، وَلَكِنْ هُنَاكَ أُمُورٌ
تَرِدُ فِي هَذَا الْبَابِ وَخُصُوصًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ ﷺ
وخصائصه التي تُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ وَتَرْفَعُهُ
عَلَيْهِمْ، هَذِهِ الْأُمُورُ قَدْ تَشَبَّهَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ لِقِصَرِ
عُقُولِهِمْ وَضَعْفِ تَفَكِيرِهِمْ وَضِيقِ نَظَرِهِمْ وَسُوءِ
فَهْمِهِمْ، فَيُبَادِرُونَ إِلَى الْحُكْمِ بِالْكُفْرِ عَلَى أَصْحَابِهَا
وَإِخْرَاجِهِمْ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ فِي ذَلِكَ
تَخْلِيطًا بَيْنَ مَقَامِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَرَفْعًا لِمَقَامِ
النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَقَامِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَإِنَّا نَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى مِنْ ذَلِكَ .

وَإِنَّا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى نَعْرِفُ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى ،
 وَمَا يَجِبُ لِرَسُولِهِ ﷺ ، وَنَعْرِفُ مَا هُوَ مَحْضٌ حَقٌّ لِلَّهِ
 تَعَالَى ، وَمَا هُوَ مَحْضٌ حَقٌّ لِرَسُولِهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلَا
 إِطْرَاءٍ يَصِلُ إِلَى حَدٍّ وَضْفِهِ بِخَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ
 وَالْأُلُوْهِيَّةِ فِي الْمَنْعِ وَالْعَطَاءِ وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ الْإِسْتِقْلَالِيَّ
 (دُونَ اللَّهِ تَعَالَى) وَالسُّلْطَةِ الْكَامِلَةِ وَالْهَيْمَنَةِ الشَّامِلَةِ
 وَالْخَلْقِ وَالْمُلْكِ وَالتَّذْيِيرِ وَالتَّفَرُّدِ بِالْكَمَالِ وَالْجَلَالِ
 وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّفَرُّدِ بِالْعِبَادَةِ بِمُخْتَلَفِ أَنْوَاعِهَا وَأَحْوَالِهَا
 وَمَرَاتِبِهَا .

أَمَّا الْغُلُوُّ الَّذِي يَعْنِي التَّغَالِيَّ فِي مَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ
 وَالتَّعَلُّقِ بِهِ ، فَهَذَا مَحْبُوبٌ وَمَطْلُوبٌ كَمَا جَاءَ فِي
 الْحَدِيثِ : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ
 مَرْيَمَ » ..

وَالْمَعْنَى : أَنَّ إِطْرَاءَهُ وَالتَّغَالِيَّ فِيهِ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ بِمَا
 سِوَى ذَلِكَ هُوَ مَحْمُودٌ ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ غَيْرَ ذَلِكَ لَكَانَ
 الْمُرَادُ هُوَ النَّهْيَ عَنْ إِطْرَائِهِ وَمَذْحِهِ أَضْلًا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ
 هَذَا لَا يَقُولُهُ أَجْهَلُ جَاهِلٍ فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ

تَعَالَى عَظَمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَمَرَ بِتَعْظِيمِهِ فِي الْقُرْآنِ بِأَعْلَى
 أَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُعَظِّمَ مَنْ عَظَّمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى وَأَمَرَ بِتَعْظِيمِهِ.. نَعَمْ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَصِفَهُ
 بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَرَحِمَ اللَّهُ الْقَائِلَ حَيْثُ
 قَالَ:

دَعِ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ

وَأَحْكُمِ بِمَا شِئْتَ مَذْحًا فِيهِ وَأَحْتَكِمِ

فَلَيْسَ فِي تَعْظِيمِهِ ﷺ بِغَيْرِ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ شَيْءٌ
 مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِشْرَاقِ، بَلْ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ
 وَالْقُرْبَاتِ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ عَظَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى كَالْأَنْبِيَاءِ
 وَالْمُرْسَلِينَ صَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ،
 وَكَالْمَلَائِكَةِ وَالصُّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ
 تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ
 عِنْدَ رَبِّهِ﴾.

وَمِنْ ذَلِكَ الْكَعْبَةُ الْمُعَظَّمَةُ وَالْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، وَمَقَامُ
 إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهَا أَحْجَارٌ، وَأَمَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى
 بِتَعْظِيمِهَا لِأَنَّهَا مِنْ الشُّعَائِرِ وَالْحُرُمَاتِ الْمَنْصُوصِ
 عَلَيْهَا كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَذَلِكَ يَكُونُ بِالطُّوَافِ
 بِالْبَيْتِ وَمَسُّ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ، وَتَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ،
 وَبِالصَّلَاةِ خَلْفَ الْمَقَامِ وَبِالْوُقُوفِ لِلدُّعَاءِ عِنْدَ
 الْمُسْتَجَارِ وَبَابِ الْكَعْبَةِ وَالْمُلْتَزِمِ، وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ
 لَمْ نَعْبُدْ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ نَعْتَقِدْ تَأْثِيرًا لِغَيْرِهِ وَلَا
 نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَلَا يَثْبُتُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ سِوَى اللَّهِ
 تَعَالَى.



مَقَامُ الْمَخْلُوقِ

أَمَّا هُوَ ﷺ فَإِنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّهُ ﷺ بَشَرٌ يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا
يَجُوزُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ مِنْ حُصُولِ الْأَعْرَاضِ
وَالْأَمْرَاضِ الَّتِي لَا تُوجِبُ النُّقْصَ وَالتَّنْفِيرَ، كَمَا قَالَ
صَاحِبُ الْعَقِيدَةِ:

وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِمْ مِنْ عَرَضٍ

بِغَيْرِ نَقْصٍ كَخَفِيفِ الْمَرَضِ

وَأَنَّهُ ﷺ عَبْدٌ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ
اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ
السُّوءُ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وَأَنَّهُ ﷺ قَدْ أَدَّى الرُّسَالََةَ وَبَلَغَ الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ
وَكَشَفَ الْغُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ،
فَانْتَقَلَ إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ رَاضِيًا مَرْضِيًّا، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

وَقَالَ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ لَخُلْدُونَ ﴾ .

وَالْعُبُودِيَّةُ هِيَ أَشْرَفُ صِفَاتِهِ ﷺ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَفْتَخِرُ بِهَا وَيَقُولُ : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ » وَوَصَفَهُ اللَّهُ بِهَا فِي أَعْلَى مَقَامٍ ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَمَرَنِي بِعَبْدِهِ ﴾ .

وَقَالَ : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا ﴾ .

وَالْبَشَرِيَّةُ هِيَ عَيْنُ إِعْجَازِهِ، فَهُوَ بَشَرٌ مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ، لَكِنَّهُ مُتَمَيِّزٌ عَنْهُمْ بِمَا لَا يَلْحَقُهُ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يُسَاوِيهِ، كَمَا قَالَ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : « إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيْتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيَنِي » ..

وَبِهَذَا ظَهَرَ أَنَّ وَصْفَهُ ﷺ بِالْبَشَرِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يَقْتَرَنَ بِمَا يُمَيِّزُهُ عَنْ عَامَّةِ الْبَشَرِ مِنْ ذِكْرِ خَصَائِصِهِ الْفَرِيدَةِ وَمَنَاقِبِهِ الْحَمِيدَةِ، وَهَذَا لَيْسَ خَاصًّا بِهِ ﷺ بَلْ هُوَ عَامٌّ فِي حَقِّ جَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِتَكُونَ

نَظَرْتُنَا إِلَيْهِمْ لَائِقَةً بِمَقَامِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مُلَاحَظَةَ
الْبَشَرِيَّةِ الْعَادِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ فِيهِمْ دُونَ غَيْرِهَا هِيَ نَظَرَةُ
جَاهِلِيَّةٌ شُرْكَيَّةٌ، وَفِي الْقُرْآنِ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ عَلَى ذَلِكَ،
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ قَوْمِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي حَقِّهِ فِيمَا
حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذْ قَالَ: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
مَا نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ قَوْمِ مُوسَى وَهَارُونَ - عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ - فِي حَقِّهِمَا فِيمَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذْ قَالَ:
﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ﴾ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ثَمُودَ لِنَبِيِّهِمْ صَالِحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
فِيمَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ
بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ لِنَبِيِّهِمْ شُعَيْبٍ -
عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِيمَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالُوا إِنَّمَا
أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ فِي حَقِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ
وَقَدْ رَأَوْهُ بِعَيْنِ الْبَشَرِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ فِيمَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ
بِقَوْلِهِ : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ ﴾ ، وَلَقَدْ تَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ
حَدِيثَ الصُّدُقِ بِمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ عَظِيمِ
الْصُّفَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ الَّتِي تَمَيِّزُهَا عَنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ
الْبَشَرِ .

فَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ :
« تَنَامُ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي » .

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ : « إِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ
وَرَاءِ ظَهْرِي كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي » .

وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ : « أُوتِيْتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ
الْأَرْضِ » .

وَهُوَ ﷺ وَإِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ إِلَّا أَنَّهُ حَيٌّ حَيَاةَ بَرَزَخِيَّةٍ
كَامِلَةٍ ، يَسْمَعُ الْكَلَامَ وَيَرُدُّ السَّلَامَ ، وَتَبْلُغُهُ صَلَاةُ مَنْ
يُصَلِّي عَلَيْهِ ، وَتُعَرِّضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ الْأُمَّةِ فَيَفْرَحُ بِعَمَلِ

الْمُحْسِنِينَ وَيَسْتَغْفِرُ لِلْمُسيئِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى
الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ جَسَدَهُ، فَهُوَ مَحْفُوظٌ مِنَ الْآفَاتِ
وَالْعَوَارِضِ الْأَرْضِيَّةِ.

وَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
«مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ
قُبُضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصُّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَى مِنْ
الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قَالُوا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ،
يَعْنِي بَلِيَّتَ؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَى
الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»..

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي
«صَحِيحِهِ» وَالْحَاكِمُ وَضَحَّحَهُ.

وَفِي ذَلِكَ رِسَالَةٌ خَاصَّةٌ لِلْحَافِظِ جَلَالِ الدِّينِ
السُّيُوطِيِّ أَسْمَاهَا «إِنْبَاءُ الْأَذَكِيَاءِ بِحَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ».

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ

كَانَتْ وَفَاتِي خَيْرًا لَكُمْ تُعَرِّضُ عَلَى أَعْمَالِكُمْ فَإِنْ رَأَيْتُ
خَيْرًا حَمِدْتُ اللَّهَ وَإِنْ رَأَيْتُ شَرًّا اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ .

قَالَ الْهَيْثَمِيُّ : رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ
أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَى إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَى رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ
السَّلَامَ » .

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : رَدَّ عَلَى رُوحِي : أَيْ نُطْقِي .

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« إِنَّ اللَّهَ وَكُلَّ بِقَبْرِي مَلِكًا أُعْطَاهُ اللَّهُ أَسْمَاعَ الْخَلَائِقِ ،
فَلَا يُصَلِّي عَلَى أَحَدٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَبْلَغَنِي بِاسْمِهِ
وَأَسْمِ أَبِيهِ ، هَذَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ » .

رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَأَبُو الشَّيْخِ وَابْنُ حِبَّانَ وَلَفْظُهُ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكًا أُعْطَاهُ
أَسْمَاعَ الْخَلَائِقِ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَبْرِي إِذَا مِتُّ ، فَلَيْسَ
أَحَدٌ يُصَلِّي عَلَى إِلَّا قَالَ : يَا مُحَمَّدُ! صَلَّى عَلَيْكَ فَلَانُ

ابْنُ فُلَانٍ ، قَالَ فَيُصَلِّي الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى ذَلِكَ
الرَّجُلِ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرًا . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»
بِنَحْوِهِ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ السُّبْكِيُّ أَنَّهُ جَاءَ بِرِوَايَتَيْنِ : أَسْمَاءُ
الْخَلَائِقِ ، وَأَسْمَاءُ الْخَلَائِقِ^(١) .

وَهُوَ ﷺ وَإِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ إِلَّا أَنْ فَضْلَهُ وَمَقَامَهُ
وَجَاهَهُ عِنْدَ رَبِّهِ بَاقٍ لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ وَلَا رَيْبَ عِنْدَ أَهْلِ
الْإِيمَانِ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ التَّوَسُّلَ بِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى إِنَّمَا يَرْجِعُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى اِعْتِقَادِ وَجُودِ تِلْكَ
الْمَعَانِي وَاعْتِقَادِ مَحَبَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَإِلَى الْإِيمَانِ
بِهِ وَبِرِسَالَتِهِ ، وَلَيْسَ هُوَ عِبَادَةٌ لَهُ ، بَلْ إِنَّهُ مَهْمَا عَظُمَتْ
دَرَجَتُهُ وَعَلَتْ رُتْبَتُهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ
وَاحِدٌ ﴾ .

(١) شفاء السُّقَامِ ص ٤٦ .

أُمُورٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ ..

لا تُنافي التَّنْزِيهَ

وَقَدْ أَخْطَأَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي فَهْمِ بَعْضِ الْأُمُورِ
الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ (مَقَامِ الْخَالِقِ وَمَقَامِ الْمَخْلُوقِ)
فَظَنُّ أَنْ يَنْسَبَتْهَا إِلَى مَقَامِ الْمَخْلُوقِ شِرْكٌ بِاللَّهِ تَعَالَى .

وَمِنْ ذَلِكَ بَعْضُ الْخَصَائِصِ النَّبَوِيَّةِ مَثَلًا، الَّتِي
يُخْطِئُ بَعْضُهُمْ فِي فَهْمِهَا، فَيَقْيِسُونَهَا بِمِقْيَاسِ
الْبَشَرِيَّةِ، وَلِذَلِكَ يَسْتَكْثِرُونَهَا وَيَسْتَغْظِمُونَهَا عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَرَوْنَ أَنَّ وَصْفَهُ بِهَا مَعْنَاهُ وَصْفُهُ
بِبَعْضِ صِفَاتِ الْأَلُوْهِيَّةِ، وَهَذَا جَهْلٌ مَخْضٌ، لِأَنَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعْطَى مَنْ يَشَاءُ وَكَمَا يَشَاءُ بِلا مُوْجِبٍ
مُلْزِمٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَفَضُّلٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ إِكْرَامَهُ وَرَفَعَ
مَقَامِهِ، وَإِظْهَارَ فَضْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ، وَلَيْسَ فِي
ذَلِكَ انْتِزَاعٌ لِحُقُوقِ الرُّبُوبِيَّةِ وَصِفَاتِ الْأَلُوْهِيَّةِ، فَهِيَ
مَحْفُوظَةٌ بِمَا يُنَاسِبُ مَقَامَ الْحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ،

وَإِذَا اتَّصَفَ الْمَخْلُوقُ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَيَكُونُ بِمَا يُنَاسِبُ
الْبَشَرِيَّةَ مِنْ كَوْنِهَا مَحْدُودَةً مُكَتَسِبَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ
وِإِرَادَتِهِ ، لَا بِقُوَّةِ الْمَخْلُوقِ وَلَا تَذْبِيرِهِ وَلَا أَمْرِهِ ، إِذْ هُوَ
عَاجِزٌ ضَعِيفٌ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ، وَكَمْ مِنْ أُمُورٍ جَاءَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا
حَقٌّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ
بِهَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ وَغَيْرِهِ .

وَحِينَئِذٍ فَلَا يَرْفَعُهُ وَضْفُهُ بِهَا إِلَى مَقَامِ الْأُلُوْهِيَّةِ ، أَوْ
يَجْعَلُهُ شَرِيكًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فَمِنْهَا : الشَّفَاعَةُ ، فَهِيَ لِلَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ
لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ ﴾ ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِغَيْرِهِ مِنْ
الشَّفَعَاءِ بِإِذْنِ اللَّهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « أُوتِيَتْ
الشَّفَاعَةُ » .. وَحَدِيثٌ : « أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ » ..

وَمِنْهَا : عِلْمُ الْغَيْبِ ، فَهُوَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :
﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وَقَدْ ثَبَتَ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَّمَ نَبِيَّهِ مِنَ الْغَيْبِ مَا عَلَّمَهُ وَأَعْطَاهُ مَا

أَعْطَاهُ ﴿ عَنِ الْمَغِيبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ ٦٦ إِلَّا مَنْ
ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ .

وَمِنْهَا : الْهِدَايَةُ ، فَهِيَ خَاصَّةٌ بِاللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ ﴾ ، وَقَدْ جَاءَ أَنَّهُ ﷺ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ :
﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، وَالْهِدَايَةُ الْأُولَى غَيْرُ
الْهِدَايَةِ الثَّانِيَةِ ، وَهَذَا إِنَّمَا يَفْهَمُهُ الْعُقَلَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ ، وَلَوْلَا
ذَلِكَ لَأَحْتَاجَ أَنْ يَقُولَ : وَإِنَّكَ لَتَهْدِي هِدَايَةَ إِرْشَادٍ ، أَوْ
أَنْ يَقُولَ : وَإِنَّكَ لَتَهْدِي هِدَايَةَ غَيْرِ هِدَايَتِنَا ، وَلَكِنْ كُلُّ
ذَلِكَ لَمْ يَخْصُلْ .

بَلْ أَثْبَتَ لَهُ هِدَايَةَ مُطْلَقَةً بِلا قَيْدٍ وَلَا شَرْطٍ ، لِأَنَّ
الْمَوْحَدَ مِنَّا مَعَشَرَ الْمُخَاطَبِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَفْهَمُ
مَعَانِيَ الْأَلْفَاظِ وَيُذَرِّكُ اخْتِلَافَ مَذَلُّوَلَاتِهَا بِالنُّسْبَةِ لِمَا
أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ ، وَبِالنُّسْبَةِ لِمَا أُضِيفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ ، وَنَظِيرُ هَذَا مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ وَصْفِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ؛ إِذْ يَقُولُ تَعَالَى :

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ، وَوَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى نَفْسَهُ بِذَلِكَ أَيْضًا فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ ، فَهُوَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرَّأْفَةَ
وَالرَّحْمَةَ الثَّانِيَّةَ غَيْرُ الْأُولَى ، وَلَمَّا وَصَفَ نَبِيُّهُ ﷺ بِذَلِكَ
الْوَصْفِ وَصَفَهُ بِهِ بِالْإِطْلَاقِ بِلا قَيْدٍ وَلَا شَرْطٍ ، لِأَنَّ
الْمُخَاطَبَ وَهُوَ مُوَحَّدٌ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ، يَعْلَمُ الْفَرْقَ بَيْنَ
الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَاجْتَبَاجُ أَنْ يَقُولَ فِي
وَصْفِهِ ﷺ رَءُوفٌ بِرَأْفَةٍ غَيْرِ رَأْفَتِنَا ، وَرَحِيمٌ بِرَحْمَةٍ غَيْرِ
رَحْمَتِنَا ، أَوْ أَنْ يَقُولَ : رَءُوفٌ بِرَأْفَةٍ خَاصَّةٍ أَوْ رَحِيمٌ
بِرَحْمَةٍ خَاصَّةٍ ، أَوْ أَنْ يَقُولَ : رَءُوفٌ بِرَأْفَةٍ بَشَرِيَّةٍ وَرَحِيمٌ
بِرَحْمَةٍ بَشَرِيَّةٍ ، وَلَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمْ يَخْصُصْ ، بَلْ أَثْبَتَ لَهُ
رَأْفَةً مُطْلَقَةً وَرَحْمَةً مُطْلَقَةً بِلا قَيْدٍ وَلَا شَرْطٍ ، فَقَالَ :
﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .



الْعَوَامُّ .. وَمَبَاحِثُ الصُّفَاتِ

فِي الْعَقِيدَةِ

وَمِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ الَّتِي بُلِينَا بِهَا مِمَّنْ يَدَّعِي السَّلَفِيَّةَ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ حَقَائِقِهَا وَأَدَابِهَا، مَا يَظْهَرُ عَلَى السَّاحَةِ الْيَوْمَ مِنْ كُتُبٍ وَمُحَاضَرَاتٍ تَشْغُلُ النَّاسَ وَأَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعَوَامِّ، تَشْغَلُهُمْ بِمَبَاحِثِ عَوِصَةِ وَمُشْكِلَةِ فِي الْعَقِيدَةِ، مَبَاحِثَ زَلَّتْ فِيهَا الْأَقْدَامُ، وَضَلَّتْ فِيهَا الْأَفْهَامُ، وَمَا ثَبَتَ فِيهَا إِلَّا الْأَيْمَةُ الْأَغْلَامُ، وَهِيَ مَبَاحِثُ الصُّفَاتِ وَغَيْرُهَا مِمَّا يَدُورُ فِي هَذَا الْبَابِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ سُؤَالُ الْعَوَامِّ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ كَلَامِ اللَّهِ وَعَنْ الْحُرُوفِ وَأَتْنِهَا قَدِيمَةً أَوْ مُحَدَّثَةً، وَعَنْ الْأَسْتِوَاءِ وَالنُّزُولِ وَالْيَدِ، وَمَا هُوَ، وَكَيْفَ هُوَ، وَالرُّدُودِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْمَجَالِ، وَالْعَامِّيُّ يَفْرَحُ بِالْخَوْضِ فِي هَذَا الْعِلْمِ، إِذِ الشَّيْطَانُ

يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْفَضْلِ ، وَلَا يَزَالُ يُحَبِّبُ إِلَيْهِ ذَلِكَ حَتَّى يَتَكَلَّمَ فِي الْعِلْمِ بِمَا هُوَ كُفْرٌ وَهُوَ لَا يَذَرِي ، وَقَدْ تَكُونُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي يَرْتَكِبُهَا الْعَامِيُّ أَسْلَمَ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ ، وَإِنَّمَا شَأْنُ الْعَوَامِّ الْإِشْتِغَالُ بِالْعِبَادَاتِ وَالْإِيمَانِ بِمَا وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ ، وَالتَّسْلِيمُ بِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ ، وَسُؤَالُهُمْ عَنْ غَيْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعِبَادَاتِ سُوءُ آدَبٍ مِنْهُمْ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ الْمَقَاتَ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَعَرَّضُونَ لِخَطَرِ الْكُفْرِ ، وَهُوَ كَسُؤَالِ سَائَةِ الدُّوَابِّ عَنْ أَسْرَارِ الْمُلُوكِ وَهُوَ مُوجِبٌ لِلْعُقُوبَةِ ، وَكُلُّ مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ غَامِضٍ وَلَمْ يَبْلُغْ فَهْمُهُ تِلْكَ الدَّرَجَةَ فَهُوَ مَذْمُومٌ ، فَإِنَّهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ عَامِيٌّ ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، مَا تَهَيَّيْتُكُمْ عَنْهُ فَأَجْتَنَبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتَوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» .

وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ : «تَهَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ .

وَجَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ قَالَ ﷺ: «يُوشِكُ النَّاسُ
يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا: قَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ
خَلَقَ اللَّهُ؟ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، حَتَّى تَخْتِمُوا السُّورَةَ، ثُمَّ لِيَتَفَلَّ
أَحَدُكُمْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلِيَسْتَعِذَّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ» .

فَاشْتَغَالَ الْعَوَامُّ بِمَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي
تَحْتَاجُ إِلَى أَهْلِيَّةٍ مِنْ أَعْظَمِ آلَافَاتِ، وَهُوَ مِنَ الْمُشِيرَاتِ
لِلْفِتَنِ، فَيَجِبُ دَفْعُهُمْ وَمَنْعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ. وَخَوْضُهُمْ
فِي حُرُوفِ الْقُرْآنِ يُضَاهِي حَالَ مَنْ كَتَبَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ
كِتَابًا وَرَسَمَ لَهُ فِيهِ أُمُورًا، فَلَمْ يَشْتَغِلْ بِشَيْءٍ مِنْهَا،
وَضَيَّعَ زَمَانَهُ فِي أَنْ قَرِطَاسَ الْكِتَابِ عَتِيقُ أَمِ حَدِيثُ،
فَاسْتَحَقَّ بِذَلِكَ الْعُقُوبَةَ لَا مَحَالَةَ، فَكَذَلِكَ تَضْيِيعُ
الْعَامِّيِّ حُدُودَ الْقُرْآنِ وَاشْتَغَالُهُ بِحُرُوفِهِ أَهْيَ قَدِيمَةٌ أَمْ
حَدِيثَةٌ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعَوَامِّ السُّوقِيَّةِ
وَالْأَجْلَافِ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ فَقَطْ، بَلْ فِي مَعْنَى الْعَوَامِّ
الْأَدِيبُ وَالنَّحْوِيُّ وَالْفَيْلَسُوفُ وَالْمُتَكَلِّمُ، بَلْ كُلُّ عَالِمٍ
سِوَى الْمُتَجَرِّدِينَ لِعِلْمِ السَّبَاحَةِ فِي بَحَارِ الْمَعْرِفَةِ،
الْقَاصِرِينَ أَعْمَارَهُمْ عَلَيْهِ، الصَّارِفِينَ وُجُوهَهُمْ عَنْ
الدُّنْيَا وَالشَّهَوَاتِ، الْمُغْرِضِينَ عَنِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْخَلْقِ
وَسَائِرِ اللَّذَاتِ، الْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْعُلُومِ
وَالْأَعْمَالِ، الْقَائِمِينَ بِجَمِيعِ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ وَأَدَابِهَا فِي
الْقِيَامِ بِالطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، الْمُفْرَغِينَ قُلُوبَهُمْ
بِالْجُمْلَةِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ، الْمُسْتَخْقِرِينَ لِلدُّنْيَا بَلْ لِلْآخِرَةِ
فِي جَنْبِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ
وَالْأَهْلِيَّةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ، يَهْلِكُ
مِنَ الْعَشْرَةِ تِسْعَةٌ إِلَى أَنْ يَسْعَدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِالْمَعْرِفَةِ
وَالْفِقْهِ وَالْدِّينِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ.



مِنْ شُعَبِ التَّكْفِيرِ

الْكِبَرُ، وَالْعُجْبُ، وَالْإِخْتِقَارُ

مِنْ الظُّوَاهِرِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي تَمَيِّزُ بِهَا هَؤُلَاءِ
الْمُكَفِّرُونَ لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ قُلُ: هَؤُلَاءِ الْمُسَارِعُونَ إِلَى
تَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ يُخَالِفُهُمْ أَوْ يُعَارِضُهُمْ فِيمَا يَرَوْنَ أَوْ
يَعْتَقِدُونَ.

مِنْ الظُّوَاهِرِ الَّتِي لَا تُنْكِرُ إِعْجَابُهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ
وَأَعْمَالِهِمْ، وَالْعُجْبُ هُوَ بِدَايَةُ خَطِيرَةٍ لِأَقْبَحِ خُلُقٍ نَهَى
عَنْهُ الْإِسْلَامُ وَحَذَّرَ مِنْهُ، إِنَّهُ الْكِبَرُ الَّذِي تَمَيِّزُ بِهِ أَوَّلُ
كَافِرٍ فِي الْخَلْقِ وَهُوَ (إِبْلِيسُ) حَيْثُ رَأَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ
آدَمَ وَأَعْجَبَ بِعَمَلِهِ، وَكَانَ لَهُ فِيهِ رَصِيدٌ كَبِيرٌ وَاجْتِهَادٌ
عَظِيمٌ.

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ: كَانَ إِبْلِيسُ مِنْ خُزَّانِ الْجَنَّةِ،
وَكَانَ رَئِيسَ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ لَهُ سُلْطَانُهَا
وَسُلْطَانُ الْأَرْضِ. وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمَلَائِكَةِ اجْتِهَادًا

وَأَكْثَرِهِمْ عِلْمًا، وَكَانَ يَسُوسُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،
فَرَأَى لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ شَرَفًا وَعَظَمَةً، فَذَلِكَ دَعَاهُ إِلَى
الْكُفْرِ فَعَصَى اللَّهَ فَمَسَخَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا، فَإِذَا كَانَتْ
خَطِيئَةُ الرَّجُلِ فِي كِبَرٍ فَلَا تَرْجُهُ، وَإِنْ كَانَتْ خَطِيئَتُهُ
فِي مَعْصِيَةٍ فَأَرْجُهُ، وَكَانَتْ خَطِيئَةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مَعْصِيَةً، وَخَطِيئَةُ إِبْلِيسَ كِبَرًا^(١).

قُلْتُ: وَهَذَا الْعُجْبُ هُوَ الَّذِي دَعَاهُ إِلَى رُؤْيَةِ نَفْسِهِ
فَقَالَ:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ﴾.

وَالِىَ اخْتِقَارِ آدَمَ وَالْإِسْتِهَاءَةِ بِهِ فَقَالَ:

﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

فَتَكَبَّرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

(١) الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ لِلْقُرْطُبِيِّ (سُورَةُ الْبَقَرَةِ).

الْمُتَكَبِّرُ: عَدُوُّ اللَّهِ

لِذَلِكَ كَانَ الْمُتَكَبِّرُ بَغِيضًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا
فَخُورًا ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

وَالْخِيَلَاءُ وَالْفَخْرُ مِنْ أَوْصَافِ الْمُتَكَبِّرِينَ ،
وَالْمُتَكَبِّرُ مُتَعَرِّضٌ لِأَنْ يَطْبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ .

وَالْمُتَكَبِّرُ مَضْرُوفٌ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ .

وَذَمُّ الْكِبَرِ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .

أَمَّا فِي السُّنَّةِ الْمُشْرِفَةِ فَقَدْ جَاءَ فِي ذَمِّ الْكِبَرِ أَحَادِيثٌ نَبَوِيَّةٌ وَقُدُسِيَّةٌ فَمِنْهَا : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : قَالَ صلى الله عليه وسلم : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهَا أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ وَلَا أُبَالِي) رَوَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ ابْنُ مَاجَةَ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ (بَابُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْكِبَرِ وَالتَّوَاضُّعِ ج ٢ / ص ١٣٩٨) ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَرَوَاهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَبِ (بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبَرِ ج ٨ / ص ٣٦) بِلَفْظِ «الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعَنِي عَذِّبْتُهُ» .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» ج ١ / ص ٦٥ .



مِنْ عِلَامَاتِ الْكِبَرِ

وَالْكِبَرُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ . وَلَكِنْ لَهُ عِلَامَاتٌ فِي الظَّاهِرِ تَدُلُّ عَلَيْهِ .

فَمِنْهَا : حُبُّ التَّقَدُّمِ عَلَى النَّاسِ وَإِظْهَارُ التَّرَفِّعِ عَلَيْهِمْ ، وَحُبُّ التَّصَدُّرِ فِي الْمَجَالِسِ ، وَالتَّبَخُّرُ وَالْإِخْتِيَالُ فِي الْمَشْيَةِ ، وَالْإِسْتِنكَافُ مِنْ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ كَلَامُهُ وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ، وَالْإِمْتِنَاعُ مِنْ قَبُولِهِ ، وَالْإِسْتِخْفَافُ بِضَعْفَةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَسَاكِينِهِمْ .

وَمِنْهَا : تَرْكِيَّةُ النَّفْسِ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهَا ، وَالْفَخْرُ بِالْآبَاءِ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ ، وَالتَّبَجُّحُ بِالنَّسَبِ ، وَذَلِكَ مَذْمُومٌ وَمُسْتَقْبَحٌ جِدًّا ، وَقَدْ يُبْتَلَى بِهِ بَعْضُ أَوْلَادِ الْأَخْيَارِ مِمَّنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ وَلَا مَعْرِفَةَ بِحَقَائِقِ الدِّينِ .

وَمَنْ أَفْتَخَرَ عَلَى النَّاسِ بِنَسَبِهِ وَبِآبَائِهِ ذَهَبَتْ بَرَكَتُهُمْ عَنْهُ ، لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَخِرُونَ وَلَا يَتَكَبَّرُونَ عَلَى النَّاسِ ، وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَبَطَلَ فَضْلُهُمْ ، وَقَدْ قَالَ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ (الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ) بَابِ فَضْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ ج ٨ / ص ٧١.

وَعَنْ أَبِي نُضْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِالتَّقْوَى» الْحَدِيثُ.

وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِهِ»: وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. (كِتَابُ الْحَجِّ - بَابُ الْخُطْبِ فِي الْحَجِّ ج ٣ / ص ٢٦٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَنْتَهَيْنَ أَقْوَامٌ عَنِ الْفَخْرِ بِأَبَائِهِمْ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْجِغْلَانِ» (دَوَابُّ سَوْدَاءُ مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ - بَابِ التَّفَاخُرِ بِالْأَخْسَابِ ج ٢ / ص ٦٢٤.

قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَوِيٍّ الْحَدَّادُ:

ثُمَّ لَا تَغْتَرَّ بِالنُّسَبِ

لَا وَلَا تَقْنَعُ بِكَانِ أَبِي

وَاتَّبِعْ فِي الْهَدْيِ خَيْرَ نَبِيٍّ

أَحْمَدَ الْهَادِي إِلَى السُّنَنِ



الْعُجْبُ : مِفْتَاحُ الشُّرُورِ

أَمَّا الْعُجْبُ فَهُوَ مَذْمُومٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ الْإِنْكَارِ .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّا نَعَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَآنَسَ لَهُمُ اللَّهُ مِّنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ فَردَّ عَلَى الْكُفَّارِ بِإِعْجَابِهِمْ بِحُصُونِهِمْ وَشَوْكَتِهِمْ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ .

وَهَذَا أَيْضًا يَرْجِعُ إِلَى الْعُجْبِ بِالْعَمَلِ .

وَقَدْ يُعْجَبُ الْإِنْسَانُ بِعَمَلٍ هُوَ مُخْطِئٌ فِيهِ كَمَا يُعْجَبُ بِعَمَلٍ هُوَ مُصِيبٌ فِيهِ .

وَقَالَ ﷺ لِأَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ حَيْثُ ذَكَرَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَا تَشُولُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْوَقَائِعِ : « إِذَا رَأَيْتَ

شُحًا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ
فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ.

وَفِي حَدِيثٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا فِي
جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَذَكَرُوا رَجُلًا وَأَكْثَرُوا الثَّنَاءَ
عَلَيْهِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ وَوَجْهُهُ
يَقْطُرُ مَاءً مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، وَقَدْ عَلَّقَ نَعْلَهُ بِيَدِهِ، وَبَيْنَ
عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ هَذَا
الرَّجُلُ الَّذِي وَصَفْنَاهُ، فَقَالَ ﷺ: «أَرَى عَلَى وَجْهِهِ
سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ». فَجَاءَ الرَّجُلُ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ
مَعَ الْقَوْمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَشَدْتُكَ اللَّهَ! هَلْ حَدَّثْتَ
نَفْسَكَ حِينَ أَشْرَفْتَ عَلَى الْقَوْمِ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ
مِنْكَ؟» فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ بَرَزٍ
وَالدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: الْهَلَاكُ فِي اثْنَتَيْنِ: الْقُنُوطُ
وَالْعُجْبُ.

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشُّخَيْرِ: لَأَنْ أُبَيَّتَ

نَائِمًا وَأُصْبِحَ نَادِمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَبِيتَ قَائِمًا وَأُصْبِحَ مُعْجَبًا. أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ.

وَقِيلَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: مَتَى يَكُونُ الرَّجُلُ مُسِيئًا؟
قَالَتْ: إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ مُحْسِنٌ. (أَيُّ ظَنٍّ الْمُعْجَبِينَ وَهُوَ
الْقَطْعُ بِالْإِحْسَانِ، وَهُوَ غَيْرُ ظَنِّ الْمُحْسِنِينَ فَذَلِكَ رَجَاءُ
الْإِحْسَانِ) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ
وَالْأَذَى﴾ وَالْمَنُّ عَلَى الْمُتَصَدِّقِ عَلَيْهِ يُنْتِجُهُ اسْتِعْظَامُ
صَدَقَتِهِ، وَاسْتِعْظَامُ الْعَمَلِ هُوَ الْعُجْبُ، لِأَنَّهُ لَوْلَا
يُعْجَبُ بِهِ لَمَا عَدَّهُ عَظِيمًا، فَظَهَرَ بِهَذَا أَنَّ الْعُجْبَ
مَذْمُومٌ جِدًّا وَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ.



آفَاتُ الْعُجْبِ

قَالَ الْإِمَامُ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَعْلَمُ أَنَّ آفَاتِ الْعُجْبِ كَثِيرَةٌ، فَإِنَّ الْعُجْبَ يَدْعُو إِلَى الْكِبْرِ لِأَنَّهُ أَحَدُ أَسْبَابِهِ، فَيَتَوَلَّدُ مِنَ الْعُجْبِ الْكِبَرُ، وَمِنْ الْكِبْرِ آلَافَاتُ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا تَخْفَى، هَذَا مَعَ الْعِبَادِ.

وَأَمَّا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فَالْعُجْبُ يَدْعُو إِلَى نِسْيَانِ الذُّنُوبِ وَإِهْمَالِهَا، فَبَعْضُ ذُنُوبِهِ لَا يَذْكُرُهَا وَلَا يَتَفَقَّدُهَا لِظَنِّهِ أَنَّهُ مُسْتَغْنِي عَنْ تَفَقُّدِهَا فَيَنْسَاهَا، وَمَا يَتَذَكَّرُ مِنْهَا، فَيَسْتَصْغِرُهُ وَلَا يَسْتَغْظِمُهُ، فَلَا يَجْتَهِدُ فِي تَدَارُكِهِ وَتَلَافِيهِ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّهُ يُغْفَرُ لَهُ، وَأَمَّا الْعِبَادَاتُ وَالْأَعْمَالُ فَإِنَّهُ يَسْتَغْظِمُهَا وَيَتَبَجَّحُ بِهَا وَيَمُنُّ عَلَى اللَّهِ بِفِعْلِهَا، وَيَنْسَى نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّمَكِينِ مِنْهَا، ثُمَّ إِذَا أُعْجِبَ بِهَا عَمِيَ عَنْ آفَاتِهَا. وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّدْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ كَانَ أَكْثَرُ سَعْيِهِ ضَائِعًا، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ إِذَا لَمْ تَكُنْ خَالِصَةً نَقِيَّةً عَنِ الشَّوَائِبِ قَلَّمَا تَنْفَعُ، وَإِنَّمَا يَتَفَقَّدُ مَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْإِشْفَاقُ

وَالْخَوْفُ دُونَ الْعُجْبِ .

وَالْمُعْجَبُ يَغْتَرُّ بِنَفْسِهِ وَبِرَأْيِهِ، وَيَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ بِمَكَانٍ، وَأَنَّ لَهُ عِنْدَهُ مِنْهُ وَحَقًّا بِأَعْمَالِهِ الَّتِي هِيَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِهِ وَعَطِيَّةٌ مِنْ عَطَايَاهُ، وَيُخْرِجُهُ الْعُجْبُ إِلَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَى نَفْسِهِ وَيَحْمَدَهَا وَيُزَكِّيَهَا، وَإِنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ وَعَمَلِهِ وَعَقْلِهِ، مَنَعَهُ ذَلِكَ مِنَ الْإِسْتِفَادَةِ وَمِنَ الْإِسْتِشَارَةِ وَالسُّؤَالِ، فَيَسْتَبِدُّ بِنَفْسِهِ وَرَأْيِهِ، وَيَسْتَنَكِفُ مِنْ سُؤَالِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ .

وَرُبَّمَا يُعْجَبُ بِالرَّأْيِ الْخَاطِئِ الَّذِي خَطَرَ لَهُ، فَيَفْرَحُ بِكَوْنِهِ مِنْ خَوَاطِرِهِ، وَلَا يَفْرَحُ بِخَوَاطِرِ غَيْرِهِ، فَيُصِرُّ عَلَيْهِ وَلَا يَسْمَعُ نَصِيحَ نَاصِحٍ، وَلَا وَعْظَ وَاعِظٍ، بَلْ يَنْظُرُ إِلَى غَيْرِهِ بِعَيْنِ الْإِسْتِجْهَالِ وَيُصِرُّ عَلَى خَطِيئِهِ، فَإِنْ كَانَ رَأْيُهُ فِي أَمْرِ دُنْيَوِيٍّ فَيُحَقِّقُ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ فِي أَمْرِ دِينِيٍّ لَا سِيَّمَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُصُولِ الْعَقَائِدِ فَيَهْلِكُ بِهِ، وَلَوْ أَتَتْهُمْ نَفْسُهُ وَلَمْ يَثِقْ بِرَأْيِهِ وَاسْتَضَاءَ بِنُورِ الْقُرْآنِ وَاسْتَعَانَ بِعُلَمَاءِ الدِّينِ وَوَاطَبَ عَلَى مُدَارَسَةِ الْعِلْمِ،

وَتَابَعَ سُؤَالَ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ، لَكَانَ ذَلِكَ يُوصِّلُهُ إِلَى الْحَقِّ، فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنْ آفَاتِ الْعُجْبِ، فَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ آفَاتِهِ أَنْ يَفْتُرَ فِي السَّعْيِ لِظَنِّهِ أَنَّهُ قَدْ فَازَ، وَأَنَّهُ قَدْ اسْتَغْنَى وَهُوَ الْهَلَاكُ الصَّارِعُ الَّذِي لَا شُبْهَةَ فِيهِ. نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْعَظِيمَ حُسْنَ التَّوْفِيقِ لِمَطَاعَتِهِ.



الفهرس

تَقْدِيمُ بَقْلَمِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ مُتَوَلَّى مَنُصُور	٣
مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ	٢٦
مَوْقِفُ الْإِمَامَيْنِ : ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَالشُّوْكَانِي	٣٤
مَوْقِفُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ	٣٨
رِسَالَةُ مُهِمَّةٌ أُخْرَى : لِلشَّيْخِ فِي الْمَوْضُوعِ	٤١
بَيَانُ مُهِمَّةٍ	٤٣
تَأْكِيدُ الشَّيْخِ ابْنِ بَارٍ تَحْذِيرُهُ مِنَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّكْفِيرِ وَالشَّهْرِ	٤٦
أَدَبُ الْخِلَافِ	٤٩
خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ بِتَأْيِيدِ الْمَوْقِفِ	٥٣
الْمَمْلَكَةُ لَيْسَتْ مَضْذَرًا لِلتَّكْفِيرِ	٥٨
مِيزَانُ الْإِيمَانِ	٦٥
سَبَابُ الْمُسْلِمِ : فُسُوقٌ .. وَقِتَالُهُ : كُفْرٌ	٧٠
أَقْوَالُ السَّلَفِ وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ التَّكْفِيرِ	٧٤

- مَقَامُ الْخَالِقِ .. وَمَقَامُ الْمَخْلُوقِ ٧٨.
- مَقَامُ الْمَخْلُوقِ ٨٢.
- أُمُورٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ .. لَا تُنَافِي التَّنْزِيهَ ٨٩.
- الْعَوَامُّ .. وَمَبَاحِثُ الصُّفَاتِ فِي الْعَقِيدَةِ ٩٣.
- مِنْ شُعَبِ التَّكْفِيرِ ٩٧.
- الْمُتَكَبِّرُ: عَدُوُّ اللَّهِ ٩٩.
- مِنْ عَلَامَاتِ الْكِبَرِ ١٠١.
- الْعُجْبُ: مِفْتَاحُ الشُّرُورِ ١٠٤.
- آفَاتُ الْعُجْبِ ١٠٧.



مَظْبَعَةُ الْكِيلَانِيّ

٢٢ ش الأديب كامل كيلاني - باب الخلق

ت : ٢٣٩١٨٥٩٨ - ٢٣٩٥١٥٤٣ / ٢٠٢

طُبِعَ مِنْ فَيْضِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
هَدِيَّةً لِحَضْرَةِ النَّبِيِّ الْمُضْطَفَى :

سَيِّدِنَا : مُحَمَّدٍ

هَادِي الْبَشَرِيَّةِ ، وَمُعَلِّمِ الْإِنْسَانِيَّةِ :
خَيْرِ الدُّنْيَا ، وَخَيْرِ الْبَرْزَخِ ، وَخَيْرِ الْآخِرَةِ ؛
شَفِيعِنَا : بِإِذْنِكَ - يَا رَبِّ - وَفَضْلِكَ وَإِكْرَامِكَ ،
وَمَنَّكَ وَصَفَحَكَ وَغُفْرَانِكَ ؛
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ السَّلَامِ .

* * *

غَفَرَ اللَّهُ لَنَا ، وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا : مُحَمَّدٍ

خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

مَطْبَعَةُ الْكِيلَانِيِّ

٢٢ شارع الأديب كامل كيلاني - القاهرة

ت : ٢٣٩١٨٥٩٨ - ٢٣٩٥١٥٤٣

